الدعاء في الحديث النبوي الشريف
أساليبه ودلالاته

Supplication in Prophets Hadiths:
Style and Connotations

إعداد الطالبة
صباح أحمد سالم الشريف

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد الرؤوف زهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلَّبات الحصول

على درجة الماجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابها

قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها

كليَّة الآداب والعلوم
جامعة الشَّرق الأوسط
2012-2011

تفويض

أنا الطالبة صباح أحمد سالم الشريف أفوض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخة من رسالتي ورقيا وإلكترونيا للمكتبات أو المنظمات أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم : صباح أحمد سالم الشريف

التاريخ: **2012 / 09 / 02**

التوقيع:----------

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها :

الدعاء في الحديث الشريف أساليبه ودلالاته

وأجيزت بتاريخ ١٨ / ٧ / ٢٠١٢

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي (مشرفا) التوقيع

الدكتورة جمانة محمد السالم (ممتحنا داخليا) التوقيع

الدكتور محمد خليل الخلايلة (ممتحنا خارجيا) التوقيع

شكر

الحمدُ لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على حبيبنا وشفعينا يوم الدين، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،وبعد:

فليس جزاء الإحسان إلا الإحسان،ولا يكون تمام النعمة إلا بالشكر لأصحاب الفضل في إيجادها ورعايتها.وكان من نعم الله علي أن وفقني لإنجاز هذا البحث، فله الحمد حمدا يملأ السموات والأرض،وله الشكر شكرا موصولا لا ينقطع.كما أشكر لأستاذي الفاضل ،المشرف على رسالتي جهوده في إعانتي، وحرصه على أن يخرج بحثي على أكمل وجه وفي أتم صورة ، جعله الله من الذين يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا،وأدامه حافظا قيما على العلم وطلابه.كما أشكر أساتذتي الأفاضل في جامعة الشرق الأوسط الذين لم يألوا جهدا في مد يد العون،وإسداء النصيحة.

ولست أنسى شقيقتي الفاضلة أم راشد التي كانت اليد المساندة لي في رحلة بحثي هذه، ولم تقصر يوما عن تلبية نداء العون والإغاثة ,بارك الله لها وعليها ، وأنالها من الدنيا ما تحبه ويرضاه.وأصلح لها في ذريتها،وجعلنا وإياها من الصالحين في الدنيا، ومن أهل الجنة في الآخرة، اللهم آمين.

إهداء

إلى الروحين الطاهرتين ، أبي وأمي ، اللـــذين ربيـــاني صـــغيرة وعلمـــاني ليحفظاني كبيرة.أبي الذي زرع في نفسي مخافة الله، وكبريـــاء الكـــريم وثبـــات الواثق،وأمي الحنون التي أفنت نفسها ليحيا صغارها ،إليكما أهدي بحثي هذا، جعله الله في ميزان حسناتكما يوم القيامة.

إلى أسرتي الحبيبة:

زوجي العزيز كنت كريما معي دائما ،أكرمك الله وجزاك عني وعن أبنائـــك كل خير.أبنائي الأحباء :أحمد،عبدالله، أسامة وأيهم، أنتم المؤنس والرفيق الذي يشد من أزري إذا فت عضدي ،أنتم البسمة التي ترتسم على شفاه قلبـــي إذا أرهقنـــي التعب لكم جميعا أهدي هذا البحث.

قائمة المحتويات

1- الفصل الأول: وتشتمل على: الصفحة

- المقدمة ----------1
- مشكلة الدراسة ----------4
- هدف الدراسة ----------4
- أهمية الدراسة----------5
- المصطلحات----------5
- حدود الدراسة----------6
- منهجية الدراسة ----------7
- الإطارالنظري والدراسات السابقة ----------8

2- الفصل الثاني:

- الباب الأول:
- معنى الدعاء وفضله ----------12

- دلالات دعا لغة واصطلاحا----------13
- دلالات دعا في القرآن الكريم----------15
- الدعاء في الشعر والنثر العربي----------20
- في كون الذكر دعاء والدعاء ذكرا ----------27
- في منزلة الدعاء وفضله----------29
- من آداب الدعاء----------32

- الباب الثاني :
- حول الحديث النبوي----------34
- مبررات الدراسة----------35
- الجهود التي قامت حول الحديث الشريف----------38
-جهود في غريب الحديث----------38
-جهود في إعراب الحديث----------41
-جهود بلاغية في الحديث----------42
- في رواية الحديث أباللفظ هي أم بالمعنى ----------43
-أصل الخلاف----------45
-في دفع الرواية بالمعنى----------45
موقف العلماء من الرواية بالمعنى----------47

4-الفصل الثالث:التحليل النحوي لأحاديث الدعاء----------50
- الدعاء بالجملة الخبريةالطلبية:----------53
- فعلية فعلها ماض أومضارع----------55
- اسمية (مبتدأ وخبر)----------57

-تحليل الأدعية المبدوءة باللهم: ----------59
- أسلوب النداء----------59
- الدعاء باللهم----------60
- نظرة في نحو الدعاء النبوي ----------85

5- الفصل الرابع:التحليل البلاغي للدعاء النبوي----------89

- دراسة في تركيب الجملة:----------93

-التقديم----------93
-التوكيد ----------101
-التعريف والتنكير---------- 106
- دلالات المشتقات والأفعال----------113
- أسلوب القصر ----------125
- الإفراد في الدعاء النبوي----------130
- دراسة في تركيب الجمل:----------132
-علاقات الجمل--- ----------133
- ترتيب الجمل ----------139
-الإيجاز والإطناب----------144
- في البيان والبديع النبوي-- ----------152

6- النتائج والتوصيات----------156
7- ثبت المصادر والمراجع ----------158
8- ثبت الرسائل الجامعية----------163

الدعاء في الحديث النبوي الشريف

أساليبه ودلالاته

إعداد:

صباح أحمد سالم الشريف

إشراف:

الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي

الملخص

تتناول هذه الدراسة الدعاء في الحديث النبوي الشريف ، أساليبه ودلالاتـــه ، واستهل البحث بتعريف الدعاء لغة واصطلاحا ، وما تدل عليه كلمة(دعـــا) عنـــد العرب فيما رووه من أشعار وأخبار ,ثم تلا ذلك نبذة عن فضل الدعاء وآدابـــه . وتناول الفصل الثالث الدراسات التي قامت حول الحديث الشريف ، مـــن الناحيـــة الإعرابية والبلاغية وغريب الحديث ، وناقشت الدراسة حقيقة الرواية في الحديث الشريف ، وأدرجت أدلة تدعم الرواية باللفظ .

ثم حللت في الفصل الرابع جملة الدعاء النبوي تحليلا نحويّا ، فبينـــت أنمـــاط الجمل وتراكيبها ، وتناولت في الفصل الخامس الدعاء النبويّ من الناحية البلاغيّة ، وما عرض فيه من ظواهر بلاغية من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وغيرها .

وختمت بفصلة قصيرة في البيان والبديع ،إذ إن الأخيرين كثر تناولهمـــا عنـــد الباحثين في الحديث النبوي وختمت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

ملخص بالإنجليزية

This study deals with supplication in the Hadith, its methods and its implications, and started the prayer language of the definition of research and idiomatically, and signified by the word (called) when the Arabs with Rooh of poetry and news, followed by a profile about the virtues of prayer and etiquette. The third chapter studies conducted on the Hadith, both rhetorical and Alaarabah and strange talk, and discussed the fact that the study of the novel in the Hadith, and included evidence to support the story verbally.

Then analyzed in Chapter IV prophetic supplication sentence grammatically analysis, she stated patterns of sentences and their structures, and dealt with in Chapter Prophetic supplication in terms of rhetoric and the display of rhetorical phenomena of delay and provide definition and Tinker, and others.

It concluded by coitus with a short statement and magnificent, as the two addressed when many researchers in the Hadith and the study concluded the most important findings and recommendations.

الفصل الأول

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبي الهداية محمد ، وعلى آله وصـــحبه أجمعين وبعد :

فكان أن طوف بي العقل ما طوف ، لأبحث عن موضوع لرسالتي في الماجستير ، ولما كان أصدق القول كتاب الله وخير الهدي هدي رسوله محمد- عليه الصلاة و السلام – رجوت أن أجد لنفسي فكرة أطرقها أو مسألة أتتبعها.وقد شغفت بهذين المنهلين العظيمـــين ، وطـــاب لنفسي أن أرتشف من معينيهما العذب القراح ، فأخذت أبحث فيما يخصهما من موضوعات ، حتى تعلق قلبي وعقلي موضوع الدعاء النبوي . وقد ثبت عن الرسول الأمين –عليه الصلاة والسلام- أنه قال:

" إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت . ولكن فليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فـــإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه" [1] فالله قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

والدعاء والتوجه للخالق هو الأقرب للنفس، يأنس به القلب،وتطمئن فيه النفس، فما هـــو إلا فيض شعور ، ودليل صادق على انكسار النفس وضعفها ، وكيف به يخرج علـــى لـــسان أشرف الخلق وأبلغهم لسانا؟! فعقدت العزم على دراسته وتحليله مستعينة بـــالله مستمـــسكة بهديه .

---

(1) القشيري، أبوالحسين مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم(بشرح النووي)،مكتبة الإيمان،المنصورة،مـــصر ،ج9، ص7

لم يخص الباحثون القدماء والمحدثون الدعاء النبوي بدراسات لغوية متخصصة، بل كانت الدراسات اللغوية قائمة حول الحديث الشريف بشكل عام ، وكانت البحوث القائمة حولـــه – في معظمها – تعنى بمضامينه وآدابه وشروط الاستجابة ، مهملة الجوانب اللغوية والدلالية فيه ، فلا نجد – على حد علم الباحثة– بحثا متخصصا بدراسة جمل الدعاء النبوي، أو الأنمـــاط التي جاءت عليها جملة الدعاء،أو الظواهر اللغوية المتمثلة بالدعاء النبوي. إلا ما نـــدر مـــن النكات النحوية أو البلاغية حوله .

كما ظهرت دراسات حديثة، بلاغية محضة ، تناولت الدعاء في الحديث الـــشريف دون التطرق إلى لغته من تراكيب أو أساليب أوقوالب لفظية ، ولم تشر إلى علاقة هذه التراكيـــب بدلالات هذه الأدعية . والحديث الشريف يسير في ظلال القرآن لغة وبيانا ، ويمتاز بحفولـــه بالأساليب اللغوية والبلاغية القوية التي لا يمكن فصلها أبدا عن المعـــاني والـــدلالات التـــي جاءت تؤديها .فالمتأمل فيه لا يجد جملة أو كلمة نبت عن المعنى الذي وضعت له .

وليس من السهل الاستعاضة بلفظ عن لفظ ،أو العدول عن أسلوب إلى غيـــره ، وذلـــك لرابط وثيق مفاده تماشي الأساليب مع السياقات والمضامين ، فاللغة لا تدرس إلا من خـــلال سياقها الذي تستعمل فيه ، ومحيطها الذي وجدت فيه ؛حتى تستشرف من بعد أوسع.

من هنا نبعت فكرة هذا البحث ، فالدعاء النبوي ليس دعاء عاديا ، بـــل هـــو الأنمـــوذج والقالب،

وتميل الباحثة إلى القول بأن كل دعاء في حياة الناس بعد العهد النبوي وصولا إلى

أيامنا هذه، هو أسلوب دعاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – في كل ما نسمعه من أدعية في خطب الحج وخطب الجمعة وغيرها ،الذي احتذى فيه الدعاء القرآني والبلاغة القرآنية، لـــذا كان جديرا بالبحث أن يطال هذا الجانب ،ويقف وقفة المتأمل والمدقق فيه .

وقد جاءت هذه الدراسة تحليلا لهذا الأسلوب ، تنظر في طرائقه اللغوية وقوالبه اللفظية، فتبين أنواع الجمل وأركانها ومواطن وجودها في الحديث النبوي الشريف ، مستهدية بتعريف الدعاء ، كاشفة عن مضامين هذه الأدعية وصور ورودها ، وذاك كله محاولة لتجلية العلاقـــة الدلالية الوثيقة بين القالب والمضمون .

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية في سبيل تحديد المشكلة وتجليتها :

1- ما الأساليب اللغوية المطروقة في الدعاء النبوي الشريف (الأنماط والصور) ؟

2- أي هذه الأساليب اللغوية أكثر ورودا على لسانه عليه السلام ؟ وما علاقتها بمضمون الدعاء؟

3- ما العلاقة بين الألفاظ المستخدمة في الأدعية ومضامينها ؟

4- كيف تظهر العلاقة بين القالب اللغوي والمعنى الدلالي للدعاء ؟

5- لماذا رفض علماء النحو الاحتجاج بالحديث الشريف؟وكيف يمكن الرد عليهم بالاعتماد على نص الدعاءالشريف وقالبه اللغوي؟

هدف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الكشف عن فصاحة الدعاء النبوي وبلاغته ، وتجلية العلاقة الفريدة بين التراكيب المتنوعة للدعاء والدلالات المستوحاة منه ، كما تطمح الدراسة إلى تلمس الحتمية التي تربط مضامين أحاديث الدعاء بقوالبها اللفظية ، التي إذا تم التثبت منها ، فربما تقود إلى رد مزاعم الرافضين الاحتجاج بالحديث الشريف ،فالدعاء النبوي بعض من الحديث الشريف.

تسعى الدراسة إلى رصد الأساليب والتراكيب اللغوية واستقصائها في الدعاء النبوي الشريف ،

وحصر مواطن ورودها ، وبيان الأنماط اللغوية للجمل الدعائية، ومن ثم تحليلها تحليلا بلاغيا سعيا لبيان دور التركيب اللغوي والأسلوب البلاغي في تجلية المعنى للسامع وطبعه في ذهنه.

كل ذلك عن طريق مفهوم الدعاء وأساليبه ، وقوالبه اللفظية المطروحة في الحديث وصوره .

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية هذه الدراسة في كونها – بحسب علم الباحثة– أول دراسة لغوية متخصصة في الدعاء النبوي ، وهي دراسة تحليلية تطبيقية ، تنبع أهميتها من فضل الدعاء ومنزلته في عقيدتنا الإسلامية ، ومن كونه مصاحبا للنفس البشرية صحبة الخير والشر .ومن حيث إن هذا الدعاء هو الأنموذج الذي يسير عليه الخلق ممن رضوا الإسلام دينا ، وهو الموجه لهم في سؤالهم ورجائهم .كما تأمل أن تضيف إلى المكتبة العربية إضافة نوعية لكون الدراسة تحليلية تطبيقية.

المصطلحات

الدعاء لغة : دعا الرجل دعوا ودعاء : ناداه . ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته)[1] و عرفه ابن منظور بأنه الرغبة إلى الله عز وجل .

والدعاء أصله أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك [2]. وقال الخطابي : (معنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية ، واستمداده منه المعونة. وحقيقته إظهار الافتقار

---

(1) ابن منظور ،لسان العرب، ،تصحيح أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي،دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي،بيروت،ط3،ج4،مادة دعا،ص360 .

(2) ابن فارس، أبو الحسين احمد بن فارس، (2008)مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، ج1 ، مادة دعا ص409 .

إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة ، وهو سمة العبودية ، واستشعار الذلة البشرية وفيه معنى الثناء على الله عز وجل ، وإضافة الجود والكرم إليه).

الحديث : هو كل ما أضيف إلى الرسول –عليه الصلاة والسلام– من قول أوفعل أو تقرير أووصف خُلُقي أوخَلْقي [1].

حدود الدراسة(الحدود المكانية) :

جعلت هذه الدراسة صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، مادة الدراسة الأساس ،وكانت مادة الدراسة الأحاديث المنطوقة لفظا عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فلا يخفى على أحد من أمة محمد أن الحديث هو القول والفعل والصفة والتقرير.وكان

اتخاذ الدراسة صحيح مسلم مادة للدراسة بداع من الحرص الشديد على أن تكون الدراسة مستندة إلى عمد متين وأصل راسخ لا تشوبه شائبة. مما يمد الدراسة بشيء من الاطمئنان والراحة لصحة هذه الأحاديث.

وعلى الرغم من أن الجمهور رجحوا البخاري على مسلم , وزادت الأحاديث عنده على الإمام مسلم إلا أن الدراسة رأت أن معظم الدراسات تجعل من صحيح البخاري مادة لها، هذا من ناحية,ولما كان الدعاء من ناحية أخرى جزءا أو موضوعا من الحديث النبوي، فليس من ضير في تتبعه في صحيح واحد بتأمل وتمحيص .مما قد يأتي بإضافة جديدة مختلفة عن غيرها.

---

(1) عتر، نور الدين(1981)، منهج النقد في علوم الحديث ، دار الفكر / ط3 ، ص 26 .

ولعل هذه الدراسة على تواضعها مقارنة بما كتب في الحديث النبـــوي، إعرابـــه ،وبلاغتـــه، وشرحه وأحكامه، تصل إلى غايتها ومطلبها. واستعان البحث بفـــتح البـــاري فـــي بعـــض المقارنات والمساءلات . وبهذا يتم رصد الأحاديث المتضمنة للدعاء النبوي ، ومتابعـــة مـــا يخص موضوع الدراسة فيها .

أما في تعريف الدعاء وما دل عليه الفعل دعا فقد استعانت الدراسة بالمعجمات العربية الأشهر والأمثل كاللسان ،والصحاح، وأساس البلاغة، ومقاييس اللغة ،وغيرها، وفي التحليـــل النحوي كان النصيب الأكبر لأمّات الكتب النحوية كالكتاب لـــسيبويه، والمقتـــضب للمبـــرد، وشذور الذهب وأوضح المسالك لابن هشام، وغيرها من الكتب المتخصصة .

واعتمدت الدراسة في التحليل اللغوي على أصول الكتـــب اللغويـــة كالخـــصائص ،والبيان والتبيين وفقه اللغة ، وغيرها مما يرفد الدراسة ويثريها .وفي التحليل البلاغي كانت كتب كأساس البلاغة، وأسرار البلاغة، ومفتاح العلوم هي الهادي إلى بلوغ الأفهـــام غايتهـــا، والنفس بغيتها.

منهجية الدراسة :

اتخذت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي منهجا لها ، إذ تم استخراج الأحاديث الدعائية ، ومن ثم صنفت وحللت تحليلا وصفيا تطبيقيا ، من حيث بيان النمط اللغوي وأنواع الجمل مع إيراد الأحاديث الدعائية التي تمثل كل نمط . ثم حللت تحليلا بلاغيا على وفق الفنون البلاغية التي وردت فيها.

الإطار النظري والدراسات السابقة :

أشار ياسوف ،(1994) في الصورة الفنية في الحديث الشريف إلى مفهوم الصورة الفنية، وأسهبت دراسته القول في معنى الصورة مستدلة بالقرآن والحديث الشريف ، وأثر الصورة في توصيل الفكرة والتأثير الوجداني وغايتها الرفيقة في الدعوة ، وفصلت بين أنواع الصور في الأدب وما بدا فيها ليوافق منطق الحديث النبوي الشريف ومقاصده . وذكرت الخلاف بين اللغة العلمية واللغة الأدبية وبينت حيازة النص النبوي على الجمال الفني واشتماله على المنطق والحس وابتعاده عن الخطر ، كما تبين الطابع الإنساني للفن النبوي ، وتجاوزه للقرون ، ومواءمة الحديث شكلا ومضمونا لكل العصور ، وتخلصه من الضيق الفكري والإقليمية ، وبحثت في وسائل التغيير في الصورة النبوية من استعارة وتشبيه وكناية وعناصر الطبيعة ،وتوقفت عند مظاهر التصوير في الحديث ، ومهماته الفنية ، ووقفت وقفة عند أهمية التجسيم وأسلوبه في الحديث وعلاقته بالحواس .

– واهتم عبد المنعم ،(1994) في دراسته بدراسة البنية اللغوية والنظم الأسلوبي للحديث الشريف ، وتقوم الدراسة على الإفادة من الدراسات اللسانية ، والأسلوبية الحديثة في دراسة نصوص الحديث النبوي القدسي بهدف بيان العلاقة بين مضامين النصوص ، وبنيتها الصوتية

والمعجمية والتركيبية ، على المستويين النحوي والبلاغي .فدرست البنية اللغوية وتجليات الظاهرة الأسلوبية في الأحاديث ، كما درست لغة الحوار والمشافهة ولغة الحركة .ودرست ألفاظا ذات دلالات في الأحاديث دراسة خاصة،من مثل(العبد ، الرب ، ابن آدم) .ودرست البنية الصوتية من نبر وتنغيم وصنوف الإيقاع الأخرى ، غير المرتبطة بالبنية ، كالالتفات والتشخيص والتجسيم .

- بينما قام الدرويش، (1999) بدراسة المعجم اللغوي للحديث ، إذ تظهر الدراسة القيمة اللغوية للحديث النبوي مدعمة بالقرائن وتبين إغناء الحديث النبوي للغة العربية بالمفردات والتراكيب البنيوية البليغة .

- وجاءت دراسة زيادة، (2000) بحثا في الحديث الشريف من خلال صحيح البخاري ، وحاولت أن تتثبت من الكلمات المعربة في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وذكرت المقاييس التي تعرف بها الكلمات الأعجمية المعربة ، بالاعتماد على كتاب الجواليقي (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم) وعزت هذه المعربات لغايتها الأصلية ، ذكرت أصولها ، حروفها الأصلية لمعرفة ما وقع عليها من تغيير بعد تعريبها ، وذكرت التغييرات الطارئة على حروف الكلمات المعربة وتعليلها من الناحية الصوتية ، ثم بحثت في دلالات المعربات ، آخذة بالحسبان اللغات التي جاءت فيها ونسبة تكرارها .

– وقد كشف البياري، (2002) عن أهمية دراسة النحو في ظل أسلوب الحديث النبوي وبيان مدى شيوع أسلوب التوكيد فيه ، وإيضاح المؤكدات التي أكثر منها الرسول– عليه السلام –فيوضح أنماط هذه الأساليب ومواطن استخدامه هذا الأسلوب ، فهي عنده لم تكن محض صدفة بل صدرت لدلالات نفسية واجتماعية .

– وسعت الفقيه (2004) في منهج التفكير في الحديث النبوي إلى البحث في منهج التفكير في الحديث النبوي ، وتبين الدراسة أهم خصائص المنهج النبوي في التفكير ، وأبرز جوانبه مما كان له أكبر الأثر في تغيير تفكير الصحابة بخاصة والمسلمين بعامة .

وأبرزت الدراسة التفكير العلمي الصحيح الذي تمتع به رسولنا العظيم ، وصواب المنهجية التي اتبعها .

– وبين المتيوتي (2005) ما أشكل من ألفاظ الحديث الشريف التي ذكرها ابن مالك على صحيح البخاري ، وتقوم الدراسة بإجراء موازنة بين كتب إعراب الحديث الشريف التي ذكرها ابن مالك على صحيح البخاري ، وتعرض مظاهر التأويل النحوي التي اعتمدها ابن مالك في تخريج الأحاديث الشريفة . كما تعرض المشكل في الأسماء والأفعال والحروف ، وكيف يخرج ابن مالك هذه الإشكالات .

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج مهمة يخصنا منها أن كثيرا من المشكل الذي يجده النحاة ضرورة شعرية ، أو منعوه أو حكموا عليه بالشذوذ ، موجود في الحديث النبوي وينبغي دراسته ، والبحث فيه.

- وقد رصدت محمد (2007) لغة الحركة، أصولها وشواهدها في الحديث الشريف ، وجاءت الدراسة محاولة لتأصيل لغة الحركة في تراثنا العربي .

كما قامت بالتمثيل على لغة الحركة بالرجوع إلى سيرة النبي-عليه الصلاة والسلام - في الصحيحين ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سبق الكثيرين في التعبير الحركي موظفا إياه في التواصل اللغوي ، إلى جانب التواصل اللفظي في خطابه العلمي .

وحيث لم تجد الباحثة دراسة لغوية دلالية تطبيقية ، مختصة بموضوع الدعاء في الحديث الشريف حتى كتابة هذا المخطط ، فإنها لترجو أن يستدرك بحثها شيئا مما فات اللغويين والبلاغيين الذين عنوا بالحديث الشريف ، وتأمل أن تكون هذه الدراسة بابا يفتح مصراعيه لدراسات أخرى تتلوها في الموضوع ذاته .

الفصل الثاني

الباب الأول

أولا: دلالات مادة دعا:

- **دعا لغة واصطلاحا**
- **دعا في الشعروالنثر العربي**
- **دعا في القرآن الكريم**

ثانيا: في كون الذكر دعاء

ثالثا: منزلة الدعاء وفضله

رابعا: آداب الدعاء

الدعاء لغة واصطلاحا

الدعاء واحد الأدعية ، وهو" أن تميل الشيء إليك بصوت و كلام يكون منك, نقول : دعوت أدعو دعاء[1] ، وهو أيضا الرغبة إلى الله عز وجل، ودعا العبد ربه، دعاه دعاء ودعوى[2] ودعوت فلانا بفلان : ناديته و صحت به , ويقال ما بالدار داع و لا مجيب , و دعا الله له وعليه , وفي المجاز دعاه الله بما يكره , أنزله به [3]. ويكون معنى الدعاء العبادة دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُون مِن دُونِ اللهِ عِبادٌ أمثالُكُم فَادْعُوهم فَلْيَستَجيبوا لَكُم** ﴾ الأعراف آية: 194. و ﴿ **إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ البقرة آية: 186.ومعنى الدعاء على ثلاثة أوجه :ضرب منها توحيده والثناء عليه، والضرب الثاني سؤال الله المغفرة والعفو والرحمة ، والضرب الثالث مسألة الحظ من الدنيا

ومتاعها[4] وسمي جميع ما مضى دعاء لأن الإنسان يصدره بأحد هذه الألفاظ: يا الله ,اللهم، يا رب .

1- مقاييس اللغة ص 409

2- لسان العرب ص 360

3- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو (2001)،أساس البلاغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ص 220

4- اللسان ص 359

و قد أشار ابن منظور إلى حديث عرفة :" أكثر دعائي و دعاء الأنبياء قبلي بعرفات لا إله إلا الله وحده لا شريك له , له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" والرواية في الصحيح:"أفضل ماقلته أنا والنبيون قبلي:لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[1] ويظهر من هذا أن التهليل والتحميد والتمجيد دعاء، فهو مستوجب لثواب الله وحسن جزائه . وقد أكد القرآن الحنيف حقيقة كون افتتاح الدعاء وختامه بذكر الله وتمجيده، فيقول الله جل وعلا :

﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ يونس آية :10. وأصل الدعاء دعاو، فهومن دعوت إلا أن الواو جاءت بعد الألف فهمزت[2] ثمّ أقيم هذا المصدر مقام الاسم ــ أي: أطلق على واحد الأدعية ، كما أقيم مصدر العدل مقامَ الاسم في قولهم: رجلٌ عدلٌ، ونظير هذا كثير .والدعاء أيضا الاستغاثة، وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوّة، وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلَّة البشريَّة، وفيه معنى الثناء على الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه" [3].إن المعاني السابقة تدور حول الدعاء الذي هو الاستغاثة والتوجه لله وطلب الحاجة، وقد اكتسبت خصوصيتها من العلاقة الوثيقة التي تربط المخلوق بخالقه.

1- **اللسان ص 360** **2- صحيح مسلم،ص18**

3- الخطابي شأن الدعاء ص3/**4**

وإذا جاءت المعاني السابقة لترتبط بمعنى الدعاء المعروف بين العبد و ربه فإن لمادة دعـــا معاني كثيرة غير ذلك ولعل من أهم المعاني التي تطالعنا :

1- الطلب و النداء :" دعوت فلانا أي صحت به واستدعيته وناديته[1] وقد وردت مادة دعـــا بهذا المعنى في الذكر الحكيم، على لسان ابنة شعيب -عليه السلام- مخاطبةً موســـى عليـــه السلام: ﴿ **إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ القصص آية :25 .

2- النداء إلى الطعام : " الدَّعوة إلى الطعام بفتح الدال , ويقال في النسب دِعوة يكـــسرها ، و في الطعام دعوة بالفتح , وهذا أكثر كلام العرب إلا عديّ الرباب [2] وفي هذا قوله تعالى :﴿ **وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ** ﴾ الأحزاب آية: 53.

3- طلب إحضار الشيء، ودعا بالكتاب استحضره[3],ومنه قوله تعالى﴿ **يدْعُونَ فِيهَـــا بِكُـــلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾ الدخان آية 55.

1- الجواهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق أحمد عطار ، دار العلـــم للملايـــين،6 ،ص 233(دعا)

2- مقاييس اللغة ص 409،و عدي الرباب إحدى قبائل بني تميم المعدودات ومنهم تيم وبني ثور وضبة.

3-أساس البلاغة ص 221

4- النسب : بكسر الدال تكون الدعوة في النسب يقال : فلان دعي بين الدعوة و الدعوى في النسب و الدعي أيضا من تبنيته "[1] و مثل هذا قوله تعالى : " **وَمَاجَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بأفواهِكم** " الأحزاب آية: 4. وكان عليه أفضل الصلاة والسلام قد تبنى زيد ابن ثابت فأمره الله أن ينسبه لأبيه، مبينا حكم الشريعة في التبنّي حيث يقول جل وعلا:"وما جعل أدعياءكم أبناءكم". وقد وردت معان أخر لمادة دعا غير ما سبق ذكره، منها الادعاء وهو أن تزعم ما هو زور , كأن تدعي حقا لك أو لغيرك , و تقول ادعى حقا أو باطلا[2] ومنه قول امرئ القيس[3]:

فَلَا وَ أَبِيك ابنَةَ العَامِرِيِّ لا يَدَّعِي القَومُ أَنِّي أَفِر

و دواعي الدهر صروفه؛ لأنها تميل الحوادث. والادعاء يكون في الحرب ،يراد به الاعتزاز[4] وتحديد الهوية , و هو أن تقول : أنا ابن فلان .و فيه قول الحادرة [5]:

و نقي بآمِنِ مَالِنَا أحْسَابَنَا و نُجِّرُ في الهَيْجَا الرِّمَاحَ و نَدَّعِي

1- الصحاح 6 / 2336-2337 , و في اللسان ص 362 المدعى المتهم في نسبه و الدعي المتبنى تبناه الرجل فدعاه ابنه و نسبه إلى غيره .

2- مقاييس اللغة ص 409 و في اللسان ص 362

3-ديوان امرئ القيس(2004) ضبط مصطفى عبد الشافي، ط 5، دار الكتب العلمية بيروت،ص 68. ابنة العامري: قيل صاحبته وقيل زوجة أبيه.

4- مقاييس اللغة ص 409

5-ديوان الحادرة، تحقيق ناصر الدين الأسد ،مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية،مج15،ج 2، ص 311. نجر:الإجرار طَعْنُ الرَّجلِ بالرمح وتركه فيه،انظر المعجم الوسيط مادة جرر.

والأدعية الأحجية , يقال : وأنا أداعيك أحاجيك[1] وبينهم أدعية يتــداعون بهــا [2] .

و داعية الخيل : صريخهم , و داعية اللبن ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده. و يقال تداعت عليه الحيطان : تهدمت [3] , و دعا الميت، إذا ندبه فكأنه ناداه . و التدعي تطريب النائحة في نياحتها على ميتها إذا ندبت [4] , و هذا يراد به التحسر لأن دعوة الميت لا تعود بفائــدة , و من المجاز قولهم أيضا : دعاه الله بما يكره : أنزله به قال الشاعر [5]:

دَعاكَ اللهُ منْ رَجُلٌ بأَفْعَى إذا نَامَ العُيونُ سَرَتْ عَلَيْكَا

و من المجاز أيضا قول العرب : تداعت إبل بني فلان : هزلت أو هلكت [6]. و يظهر من المعاني السابقة انفراد العرب بها في شعرهم و نثرهم في حين لم يذكرها القرآن الكريم.

1- المصدر السابق ص 410
2- أساس البلاغة ص 220
3- المصدر السابق ص 220
4- اللسان ص 361
5- أساس البلاغة ص 220
6- أساس البلاغة ص221

دلالات صيغة دعا في القرآن الكريم

إن المتفحص لكتاب الله العزيز لا تخفى عليه المعاني التي حملتها صيغة دعا وما فيها من تنوع دلالات وعمق معان .وأقرب ما يكون الدعاء في القرآن الكريم إلى العبادة ، فطالما قرن الدعاء بمفهوم الانقياد و الطاعة و الإذعان للرب الواحد الجبار المتحكم ,و يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾غافر آية 60 . و قوله تعالى:" **قلْ و مَا يَعْبَؤا بكم ربِّي لولا دُعاؤكم** " الفرقان 77،أي عبادتكم [1] ،و قد قرن في الأولى الدعاء بالعبادة دل على ذلك لفظة عبادتي . كما وردت لفظة دعا في القرآن بمعنى قال، والدعاء القول , قال تعالى : " **دعواهُم فيها سُبْحانَك اللهُمّ و تَحِيّتهم فيها سَلام وآخرُ دَعْواهُم أن الحَمْدُ لله ربِّ العالمين** " يونس آية 10.و يراد بدعا كذلك الحث على القيام بالشيء ، كقوله جل وعلا : " **ادعُ إلى سَبيل رَبِّكَ بالحكمةِ و المَوْعِظَةِ الحَسَنَةَ وجَادلْهُم بالَّتي هِيَ أحْسَن** " النحل آية 125.

1- ابن قيم الجوزية أبو عبدالله بن أبي بكر الدمشقي ,(1994) ،بدائع الفوائد تحقيق أحمد عبد السلام، ط1, دار الكتب العلمية , بيروت. ،ج 3 ص 4 وانظر أيضا معجم ألفاظ القرآن الكريم.

2- داخرين:صاغرين.

و جاءت كلمة دعا في السياق القرآني بمعنى اسأل ومثلها قوله تعالى على لسان بنـــي إسرائيل : ﴿**قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِــعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾ البقرة آية :69، أي اسأل الله ماهي؟

و يلحظ الثراء اللغوي الواسع لمادة دعا وما تدل عليه في كلام العرب و آيــات الــذكر الحكيم،كون أغلبها مجازية في ثنايا القرآن. و الدعاء الذي هو بمعنى التضرع و التــذلل لله والتوجه إليه لاستجلاب خير يؤمل أو دفع ضرر يخشى وقوعه هو الذي ننشده و نبحث فيه ، وهو تماما ما سماه ابن قيم الجوزية (ت751ه) بدعاء المسألة ، فالدعاء الصادر من العبــد إلى ربه للمسألة يراد به أمران لا ثالث لهما , إما طلب منفعة وخير، أو كشف ضر ودفعه , ولا يملك ذلك إلا الإله حقا[1].

1- بدائع الفوائد ص7

الدعاء في الشعر والنثر العربي

عرف العرب أسلوب الدعاء في نثرهم و شعرهم, و الحديث الشريف من النثر ، فآثر البحث أن يؤخره لأنه غايته ومقصده، وأما السلف المتقدمون, فلقد استحسنوا الدعاء واستجادوه ودعوا الله بلهفة وتبتل ،وكثرت أدعية النساك فيهم حتى استملحوها .ومن جميل الأدعية المأثورة عن العرب وطرائفها، ما نقل عن عمر بن معاوية العقيلي [1] قوله يدعو:" اللهم قني عثرات الكرام و الكلام " وسمع عن عمر بن هبيرة قوله :

" اللهم إني أعوذ بك من صديق يُطري و جليس يُغري و عدو يَسري" .[2]

وقال أعرابي آخر : "أعوذ بك من سقم وعدواه , وذي رحم ودعواه , ومن فاجر وجدواه ومن عمل لا ترضاه "[3]. و كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول :

" اللهم إن ذنوبي لا تضرك , وإن رحمتك إياي لا تنقصك , فاغفر لي ما لا يضرك, وأعطني ما لا ينقصك"[4].

1-عمر بن معاوية العقيلي من أصحاب الولايات والصوائف، انظر ترجمته في عيون الأخبار(1- 116)

2- الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر ،البيان و التبيين ، ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل , بيروت (ج3) ص 269

3- المصدر نفسه ص 270

4- المصدر نفسه ص 274

ومن دعاء الغنوي في حبسه : " أسألك اللهم طول العمر في الأمــن و العافيــة و الحلــم والعلم والحزم , والأخلاق الحسنة والأفعال المرضية واليسر والتيسير والنماء والتثمير وطيب الذكر و حسن الأحدوثة , والمحبة في الخاصة و العامة , و هب لي ثبات الحجة و التأييد عند المنازعة و المخاصمة , و بارك لي في الموت إنك على كل شيء قدير" (1).

و في الشعر العربي نماذج جد رقيقة في التبتل لله والخضوع له والانقياد إليــه . و إذا كان أرطأة بن سهية قد أجاب عبد الملك بن مروان- عندما طلب إليه أن ينشده شعرا – بعدم قدرته على نظم الشعر في التوّ واللحظة ،و أنّ الشعر شعور يفيض في داخلك ويهزك هــزا فيولد لك حالة نفسية تتفجرمعها القريحة الشعرية، ولما كانت هذه الحالات إما فرح أو حزن أو غضب أو إعجاب؛ فإن الضعف والعجز والشعور بالحاجة إلى الله لهي أشد الحالات النفــسية عمقا وأكثرها صدقا،لذا نرى الأبيات التي يتجلى فيها مطلب المــرء ربــه معونتــه شــفافة عذبة،رقيقة شريفة المعنى صادقة العاطفة , فنرى أبا نواس ، الشاعر العباسي- بعد ما قيــل عن توبته أواخر أيامه- ينظم شعرا يطلب فيه الرحمة والمغفــرة والوقايــة مــن العــذاب والعقاب[2]:

يا ربِّ إنْ عُظَمَتْ ذُنُوبي كَثْرَةً فلَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

1- البيان و التبيين ص 287

2- أبو نواس، (1998) **ديوان أبي نواس**، ط1،شرح عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت،ص 532

أدْعُوكَ ربِّ كَمَا أمَرتَ تَضَرُّعاً فإذا رَدَدتَ يَدي فَمَن ذا يَرْحَمُ

مالي إِلَيْكَ وَسيلةٌ إلا الرَّجا و جَميلُ عَفْوِكَ ثمَّ أنَّي مُسلِمُ

إنْ كانَ لا يَرجُوكَ إلا مُحْسِنٌ فَبِمَن يَلوذُ و يسْتَجيرُ المُجْرِمُ

فالشاعر يعترف بكثرة ذنوبه أمام العالم بالسر والعلن، ولكنه يوقن حقا بأن رحمة الله واسعة، وعفوه أعظم من الذنوب التي ارتكبها،ويقدم سببا لطلب العفو والمغفرة ، وهو أن الله صاحب الرحمة، والأولى بمنحها ، وهو الملجأ حين لامناص منه إلّا إليه.

و من جميل الدعاء في صدر الإسلام صوت علا في مكة بعد حادثة الرسول مع شاة أم معبد, قائلا[1]:

جزى اللهُ ربُّ الناسِ، خيرَ جزائهِ رفيقينِ، قالا خيمتَيْ أمّ معبدِ

هما نزلاها بالهدى، واهتدتْ بهِ فقدْ فازَ منْ أمسى رفيقَ محمدِ

دَعَاها بِشَاةٍ حَائلٍ فتحلَّبتْ لهُ بصريح ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزبدِ

1- حسان بن ثابت،(1986) ديوان حسان بن ثابت شرح عبد مهنا، ط1،دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص66، والصوت لم يُعرف صاحبه كانوا يسمعونه ولايرون صاحبه. وقالت أسماء بنت أبي بكر: رجل من الجن أنشد شعرا كالعرب.

فالدعاء هنا لمحمد _عليه الصلاة و السلام_ وصاحبه أبي بكر الصديق، اللذين مرا أثناء الهجرة بخيمة لأم معبد الخزاعية ، فاحتلبا شاة لها ،تخلَّفت لضعف بها وليست بذات حليب،فمسح الرسول ضرعها فدرت لبنا غزيرا ببركة اليد الطاهرة ،فدعت لهما أم معبد بالخير وحسن الجزاء.

وانظر جميلَ دعاء حسان بن ثابت ربه أن يجمعه مع الحبيب المصطفى في جنات عدن حيث قال [1]:

يا ربِّ فاجْمَعْنا معاً و نبيَّنا في جنَّة تُثنِي عيونَ الحسَّدِ

في جنَّةِ الفِرْدَوسِ و اكْتُبْهَا لنا يا ذَا الجَلالِ و ذَا العُلا والسُؤْددِ

فالشاعر يدعو ربه، جامع الناس ليوم لاريب فيه أن يجمعه ونبيه في جنة الفردوس، فتقر العيون وتهنأ النفس ، ويقهر الحساد وتدوم النعم.

و ليست غريبة عن أسماعنا رائعات أبي العتاهية في التذلل والانقياد إلى الله[2] :

إلهِي لا تُعذِّبني فإنِّي مُقِرٌّ بالَّذي قدْ كانَ منِّي

و مالي حيلةٌ إلا رَجَائِي وعَفْوُكَ إنْ عَفَوتَ و حُسْنُ ظنِّي

فكمْ من زلَّةٍ لي في البَرَايا و أنتَ علي ذَو فَضْل و مَنِّ

إ ذا فكَّرتُ في قِدَمي علَيها عَضَضْتُ أَنَاملي و قَرَعْتُ سِنِّي

1- **ديوان حسان، ص 67**

2- **ديوان أبي العتاهية، أبو العتاهية(1980) ، دار صادر بيروت، ص425**

نراه إذ كثرت ذنوبه وعظم ندمه على ما بدر منه , غلبه ضعفه وسادته حسرة لا خـــروج منها ولا مهرب إلا إلى الحاكم المتحكم الرحيم العفو , الذي لا يرد تائبا يطرق بابه . ويذكر في توسله ما يعتقده في المتوسل إليه، من الفضل والمنة ،رابطا هذا بحسن ظنه في معبوده.

ويسلب الفؤاد ما دعا به ذو الرمة ربه ،إذ أنشد قائلا[1]:

يا مُخرجَ الرُّوحِ من جِسْمي إذا احْتَضَرتْ و فارجَ الكربِ زحْزِحْني عن النارِ

فأضعف ما يكون المرء ساعة الاحتضار ، وهذا الضعف أمعن في التضرع والتوسل.فلـــيس المقام مقام التكلف والتزويق بل مقام الصدق الخالص والفزع العظيم من المـــوت وســـكراته ،والقبر وعذاباته، فتتوجه الجوارح كلها لخالقها بالتوسل والدعاء فتكون أدعى لأن يـــستجاب لصاحبها .

و أما الدعاء النبوي فهو دعاء من أوتي جوامع الكلم، صاحب البيان بالفطرة القوية ،التي فطره الله عليها حين جعله هاديا للناس كافة , و كان –عليه الصلاة و السلام –خطيبا فذا، حاز من الإقناع و البلاغة ما لم يحزه غيره.

1–ديوان ذي الرمة (1995) قدم له أحمد حسن ،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت،ص 127

وقد تناولت دراسات كثيرة الجوانب البيانية في الأحاديث الشريفة . و قلما كانت تحفل هذه الدراسات بالدعاء النبوي حصرا، متجاهلة بذلك دور الداعي والدعاء في تطويع المتلقين والتأثير عليهم ، ومهملة ما لقوة أساليب الدعاء ودلالاتها من أثر عظيم في انقياد النفوس واستسلامها لخالقها , بريئة خالية من كل صنوف التكلف والزيف. وعلة ذلك أن الداعي المتمكن الصادق الذي يعبر عن ذاته ،لا تؤرقه القافية أو الوزن ,وليس همه الجسد دون الروح، فتخرج الكلمات من فيه رقراقة مرسلة لا صنعة فيها ولا قيود .

وإذا كانت هذه حال ألفاظ الدعاءالشريف فإن مضامينه لم تقصرعنها،فجاءت شاملة ملمة بحاجات الإنسان ومطالبه ، من مغفرة ورحمة وسلامة وعافية ورزق وولد صالح ، وفوز وغنى وجنة وسلامة , كما شملت الاستعاذة من جهنم والعذاب، و خطوب الدنيا ومضارها: من عذاب ومرض وكسل، وجبن وعجز وغيره.

وهذه إشارات إلى كون دعاء النبي شاملا عاما نافعا في كل مكان وآن . وقد حرص رسول الله –عليه السلام – أن يعلِّم أمَّته من بعده الدَّعاءالذي فيه منفعتهم ومنجاتهم، كما جعل همه

أن يضمن دعاءه ما يريد من العلم والفائدة لأمته من بعده , و خير ما دعا بـــه الرســـول الكريم متمثلا الذكر الحكيم: " **ربنا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار** "[1].

و كان –عليه السلام– يحث الصحابة على الدعاء لما فيه من استجلاب للخير و دفع للضرر. والدعاء النبوي بقوالبه اللفظية و دلالاته هو موضوع البحث في الفصلين الرابع والخامس إن شاء الله تعالى .

1- **القشيري،أبو الحسين مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم ، مكتبة الإيمان ،المنصورة، باب الذكر والدعاء ج 9 ص15**

مبحث في كون الذكر دعاء
والدعاء ذكرا

الذكر عبادة واجبة على كلّ مسلم . وهو عبادة لا مشقة فيها ولا عناء , وتتأتى للإنسان كيفما كانت أحواله ، موجبا للاطمئنان و الراحة , مشعرا بالأمن والسكينة , وذاك متحصل بشعور المرء بالاحتماء في ظل القويّ العزيز الذي لا يبارى ولا يجارى في هيمنته وجبروته على رحمته . قال تعالى : ﴿**ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُ القلوبُ** ﴾. وللذكر وجهتان ثناء ودعاء , فالثناء نحو قولنا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ودعاؤنا الله هنا إنما هو بتنزيهه وحمده . وأما الدعاء فهو التوجه والإنابة إلى الله، والانقياد إليه لتحقيق مطلب ما ،ومنه قوله تعالى :﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾الأعراف آية: 23. وليس ينفصل الذكر عن الدعاء و إنما هما شيء واحد , كما أكد ذلك الحديث الشريف باللفظ الصريح :" أفضل الدعاء الحمد لله " وعلم الرسول صحبه الدعاء لما سئل

فقال:"قل **لا إله إلَّا الله**"[1] و علة ذلك أن الله إذا أثنيت عليه فحمدته و مجدته و حفظتـــه فـــي قلبك، و جرى بذكره لسانك , كأنك أدعى أن يستجاب لك ما يتردد في ثنايا نفسك حتـــى دون أن تنطقه . والمرء إذا امتدح، دفعه ذلك إلى حسن الجزاء، فما بالك بصاحب المُلـــك الغنـــي الكريم ؟! وفي فضل الذكر والدعاء قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " **سبق المفرِّدون , قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟** قال : **الذاكرون الله كثيرا و الذاكرات** " [2] . و لم يخف على نبينا الكريم أثر الذكر والدعاء في حياة المسلم , فبين لهم فيهما جميع ما يحتاج المـــسلم لحياته . وهو بذا تركهم على محجة بيضاء , و صفحة ساطعة ليسيروا من خلفه على نهجه وشريعته . فما ترك خيرا في الدنيا إلا ودعا به ، وما ترك شرا أو أذى إلا واستعاذ منـــه . كما بين لهم جميع متعلقات الدعاء من شروط وآداب وشروط استجابة , حتـــى أنـــه خـــص بعضها زمانا ومكانا فهناك أدعية للصباح وأخرى للمساء وحين الندم , ومنهـــا عنـــد الفـــزع والمصيبة, وأخرى في المسجد أو في القبور . وإذا أراد المسلم أن يصيب المقاصد العليا , فعليه بالدِّعاء النبوي , وإنْ أراد أن يتَّقي نوائب الدهر فعليه بالدعاء .

1- صحيح مسلم ج9 ص17

2-مسلم ,ج9،ص5

منزلة الدعاء و فضله

إن للدعاء فضائل عظيمة وثمرات جليلة لا يدركها إلا العبد الحسن الظن بربه , الـــدائم الصلة به في السراء و الضراء . و قد ورد عن سعيد بن أبي الحسن عن أبي هريرة قولـــه: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " **ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**" . و قد أخرجه الترمذي , و استغربه ابن ماجه [1] . كما ورد عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليـــه و سلّم : " من لا يسأل الله يغضب عليه " أخرجه الترمذي و أحمد (442:2) و البخاري في الأدب المفرد (658) [2] . و الدعاء طاعة وامتثال لأمر الله القائل : " و قال ربكم ادعـــوني استجب لكم " غافر آية 60. فمن لجأ إلى الله و دعاه سائلا أو شاكرا كان متعبـــدا بالدرجـــة الأولى وهذه الوظيفة الأولى التي خلق الإنسان من أجلها , كما يطهـــر نفـــسه مـــن كبرهـــا وتعاليها بتذليلها وخضوعها لخالقها .

1- البيهقي، أحمد بن الحسين (1989) كتاب الدعوات الكبير ط1 ،الكويت , ج1 ص 6

2- المصدر نفسه ص 17

وليس دليل أبلج على حسن التوكل على الله والثقة بحكمه من الدعاء , فإذا توجّه العبد إلى ربه وتعلَّق قلبه به وعوّل عليه في أمره انقطع طمعه في بني آدم من حوله . وتوطدت صلته بخالقه . وانظر في هذا عجيب قول لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية : "كلما قوي طمع العبد في فضل الله و رحمته لقضاء حاجته و دفع ضرورته , قويت عبوديته له , و حريته مما سواه , فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له , فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه " .

قال تعالى : ﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ الأعراف آية:55 . ودعاء العبادة ودعاء المسألة مقترنان كما سلف، فالثاني طلب ما ينفع أو طلب دفع ما يضر و يؤذي، و الأول دعاء الشكر والحمد والاعتراف للمفضل بفضله وللكريم بكرمه [1] .

و﴿**ادعُوه خوفاً و طمعاً إنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ من المُحسنين** ﴾ الأعراف آية:56 . لقد اشتملت هاتان الآيتان على نوعي الدعاء الذي لا ثالث لهما، وفي الدعاء يستحب أن يكون الدعاء جهرا وخفية، والدعاء خفية له فوائد جمة؛ فهو أعظم إيمانا لتيقن صاحبه بعلم الله حاجته , و يكون كذلك دالا على تأدب صاحبه بخفضه صوته في حضرة العظيم الجليل صاحب الملك والأمر , ممايجعله

1- بدائع الفوائد ص6.

أبلغ في التضرع و الخشوع وهذان الأخيران لب الدعاء وروحه ومقصوده[1].

و يستحب في الدُّعاء الجوامع من الكلم[2]. والدُّعاء في الرخاء أوجب منه في الضراء و تدافع الخطوب ,لأنه الإشارة إلى إخلاص العبد لربه وعبادته على الدوام ، فهو لم يقصرها على حين حاجته إليها، إنما جعلها عقيدته وعادته . والمؤمن الحق لا يكف عن دعاء خالقه , وإلا فسيكون ضمن من وصفهم الله عز و جل بقوله: ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ** ﴾ يونس آية: 12.

و يستحب الدعاء في السجود؛ فأقرب مايكون المرء إلى ربه وهوساجد. كما يستحب الدعاء باسم الله الأعظم وقيل إنه في قوله تعالى :﴿ **وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [3] البقرة،آية : 163.

1- بدائع الفوائد ص 7

2- الدعوات ج2 ،ص42.

3- الطبراني ،أبوالقاسم(2001) الدعاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،ط1، دار الكتب العلمية،بيروت ص 52

آداب الدعاء

للدعاء آداب ينبغي تمثلها حتى يتحقق التقرب لصاحب الأمر فيسأل من رحمته وذخائر لطفه و يتحقق مطلوب الداعي .ومنها الطهارة , والتصدق ,والصلاة قبل الشروع بالـدعاء , والبسملة , والثناء على الله , و عقد الاعتماد عليه والانقطاع التـام إليـه دون غيـره مـن الموجودات و يستحب أن يُدعى الله بأسمائه الحسنى [1], و يصلي الـداعي علـى نبـي الله المصطفى عليه أفضل الصلوات و التسليم.

والجامع لكل هذه الشروط ألا يقنط العبد من ربه و لا يستبطئ الإجابة فتخمد عزيمتـه و تكل جوارحه . وقد ذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : " **لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت , اللهـم ارحمنـي إن شـئت , ليعزم في الدعاء , فإن الله صانع ما شاء ، لا مكره له** " [2] . وهذا دليل بيِّنٌ على ضـرورة العزم في الدعاء والثقة و حسن الظن بإجابة الخالق لعبده, و الإلحاح صـفة المخلـص فـي العبادة فهو يعلم أن الله راحمُهُ لا محالة مستجيب دعوته . وبعد فإن الحديث عن أهمية الدعاء وآدابه وفضائله الكثيرة

---

(1) صحيح مسلم، ص 5

(2) صحيح مسلم،ج9،ص6ص7 . وانظر أيضا الدعاء للطبراني ص 813 ، ج2 ، بـاب العزيمـة فـي الدعاء .

وثمراته وشروط الاستجابة حديث يصعب الإلمام به في هذه الدراسة , و لـــيس مـــن هـــدفها استقصاء ذلك بل حسبها التلميح إلى ذلك مع ومضات دينية تشبع الرغبة في تفهـــم الـــدعاء , وكان جديرا بهذه الدراسة أن تقدم بهذه الإشارات لمضمون عملها وما هو في طاقتها .

الباب الثاني

حول الحديث النبوي

- **مبررات تناول الحديث النبوي**

- **الجهود التي قامت حول الحديث الشريف :**

  - **جهود في غريب الحديث الشريف**
  - **جهود في إعراب الحديث الشريف**
  - **جهود بلاغية في الحديث الشريف**

- **رواية الحديث باللفظ أم بالمعنى؟**

.أصل الخلاف
.في دفع الرواية بالمعنى
.موقف العلماء القدماء والمحدثين

مبررات الدراسة

لم تكن الكتابات التي كتبت في مجالات الحديث النبوي الشريف تقل عددا عن تلك التي كتبت في القرآن الكريم ،وعلى الرغم من أنها لم تصل حد الشمول وتنوع الأغراض الذي تميزت به البحوث القرآنية ، إلا أنها كانت كما لا يستهان به ، ولعل أغلبه كان في جانب التشريع لا في لغة الحديث الشريف [1] .إذ إنّ كتب الحديث لم تحفل باللغة ، نعني لغة الحديث :نحوه وصرفه وعلاقات الجمل ، ومعاني المصطلحات ودلالاتها . وإذا كانت كتب غريب الحديث التي ألفت ، وبعض الكتب الأخرى التي تناولت بلاغة القرآن الكريم تشكل ملمحا من ملامح التناول اللغوي للحديث الشريف ، فإنها ما زالت مقصرة عما يمكن أن نحصله من كنوز عظيمة في لغة الحديث النبوي الشريف .

ولعل سبب عزوف جهود الباحثين قديما عن تناول لغة الحديث الشريف يعود إلى عامل أساس، هو نزول الدين الجديد وتعلم القرآن الكريم في مهد الإسلام ، فلقد تطلب ذلك من المسلمين أن يتأملوا قرآنهم ويفهموا معانيه ، لينطلقوا بعدها لفهم أحكامه من خلال بحث لغته وبلاغته.

---

1. المنجد،صلاح،(1982)معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ط 1 ، بيروت ص63.

فظهرت كتب إعراب القرآن الكريم ،وإعجاز القرآن ،وأسرار البلاغة في الآيات القرآنية ،والأساليب اللغوية المتنوعة، من توكيد وحذف وشرط ونداء، وغيرها الكثير الكثير .

أما مصدر التشريع الثاني الحديث النبوي الشريف فكانت البحوث فيه تتجه اتجاها فقهيا صرفا ، وشغل هذا الجانب الحيز الأكبر في الدراسات حول الحديث النبوي ، من تتبع لرواية الحديث وتمحيص المتن والسند . وظهرت كتب الصحاح التي جمعت الحديث الشريف ، وكتب في الصحابة ، ككتب الجرح والتعديل ، وكتب الشروحات على الحديث كفتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني .

وكثرت الشروحات على المصنفات ، فلم تحص لكثرتها، حتى بلغت مثلا مئة وتسعة عشر شرحا لصحيح البخاري [1]. وشغل توثيق الأحاديث الحيز الأكبر في مجالات الدراسة في الأحاديث النبوية ،إذ أخذ العلماء يمحصون الحديث الصحيح من غيره ، ويجرحون الرواة ويعدلونهم ،ويصنفونهم ، وظلوا هكذا حتى ألَّفوا الصحاح والأسانيد الكثيرة . وبهذا نرى أن مجال البحث في الحديث الشريف ، لم يعن جيدا بلغة الحديث ؛ولا عجب في ذلك فاللغة آنذاك لم تكن صعبة ولم تشكل تحديا وعائقا دون فهم الأحكام والتفاسير ، إذ إن الحاجة للحديث الشريف كانت من وجهة نظرهم تفسيرا وبيانا لأحكام القران الكريم .

1- العيني، بدر الدين العيني(1972) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ط ، مكتبة البابي الحلبي ،مصر،ج1 ، ص 26 – ص29

إذن لا شك أن البحث اللغويّ في الحديث الشريف بشكل عام قليل جدا مقارنة بالدراسات اللغوية في القرآن الكريم . وإذ إن الحديث الشريف هو أحد الحجـــج القاطعـــة، وبـــه تثبـــت الأحكام [1] ، فإن اطّلاعنا على لغته متمثلين أنموذجا هو الدعاء النبوي ، لهو فرصـــة ثمينـــة لتعرف على نحو هذه الأحاديث وتركيبها ، وتلمس الصلة بينها وبين نحو القـــرآن الكـــريم والنحو الذي أقره النحاة الأولون ، ولعلها أيضا تسهم في قضية رواية الحديث الشريف أباللفظ هي أم بالمعنى ؟ ولو بقدر قليل .

---

(1) عمدة القاري / ج1 ص 10

الجهودالسابقة في لغة الحديث الشريف

حصر الدارسون اللغويون مجالات البحث في الحديث الشريف في اتجاهات محـــدودة ، فجلهم مثلا عني بغريب الحديث عناية فائقة ، واستغرقوا في شرحه وتصنيفه مئات السنين . كما عرض بعضهم إلى إعراب الحديث النبوي ، وظهرت في هذا الاتجاه كتب محمودة .

أما بلاغة الحديث الشريف فلم نر كتبا متخصصة فيها ، تستقل في هدفها ومعالجتهـــا عن أي موضوع آخر ، ولم تتجاوز الإشارات المتفرقة أو ما يسمى بالنكات البلاغيـــة التـــي سيقت في بطون الكتب على غير تخصص أو انفصال .

الدراسات في غريب الحديث :

وأول ما يتبادر للذهن معنى الغريب ، وقد عَّرفه الزمخشري بقوله :

(كشف ما غرب من ألفاظه واستبهم ،وبيان ما اعتاص في أغراضه واستعجم) [1]

وورد هذا عند ابن قتيبة [2] وابن الأثير [3] .

---

(1) الزمخشري، جاد الله ،الفائق في غريب الحديث ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجـــاوي ،دار المعرفة،بيروت،ط2 ج1 ص12 ،اعتاص: خفي معناه،انظر المعجم الوسيط مادة عاص.

(2) ابن قتيبة (1979) ،غريب الحديث ، تحقيق د رضا السويس ، الدار التونسية للنـــشر ، ط2،ج1 ، ص 107

(3) ابن الأثير (1979)النهاية في غريب الأثر ، دار الفكر ، ط2 ، ، ج1 ، ص3

وعرفه ابن الصلاح في مقدمته قائلا : (إنه عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة لقلة استعمالها) [1] .

وقد مضى المحدثون على خطى القدماء في هذا التعريف . يشير الدكتور محمد أديب صالح في تعريفه لعلم الغريب من الحديث بأنه يهدف إلى الكشف عن معاني ألفاظ الأحاديث التي تخفى على الكثيرين [2].

ولعل وجود الغريب في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطرح تساؤلا من الكثيرين حول فصاحة رسول الله عليه السلام وبلاغته ، كيف وقد كان رسول الله –عليه السلام – أفصح العرب لسانا, وأوضحهم بيانا ،وأعذبهم نطقا ،وأسدهم لفظا ،وأبينهم لهجة ،وأقومهم حجة ،وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب [3] لقد كان الغريب في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مُبرَّرا مَنطِقيًّا، وذلك لإحاطته بلغة العرب[4] وسعة بيانه ، فهويتحدث بكلام ولسان يعجز عن فهمه الفصحاء .

---

(1) النهروزي،ابن الصلاح (1974) مقدمة ابن الصلاح ،توثيق وتحقيق د عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ص397 .

(2)صالح، محمد أديب (1988) لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ص87 .

(3) النهاية في غريب الأثر ، ج 1 ، ص 4 .

(4) العلي ،نعمان (1987)،غريب الحديث النبوي لغته تاريخه وتصنيفه ، رسالة ماجستير في اليرموك ، ص45 .

ومن أسباب ورود الغريب لديه –عليه السلام – أن لهجات القبائل العربية مختلفة ، قد يتكلم بعضهم لفظا لا يفهمه الآخرون ، فيعدّونها من الغريب ، وما يبدو غريبا لبعضهم ، يراه بعض آخر مألوفا مشهورا . ومن حرص المسلمين على شرح الحديث وحفظه بلفظه ومعناه ، بعد أن عم اللحن وفسدت السليقة ، أخذوا يصنفون الغريب ويحصرونه ويكشفون عن معانيه[1] .

ولم تكن كتب الغريب في الحديث المتعاقبة تأتي بجديد ، بل كانت كلها تأخذ عن سابقيها ولا تكاد تجد اختلافا في مادتها على كثرة هذه الكتب وتواليها ، ويشير الإمام الخطابي إلى ذلك بقوله: (إلا أن هذه الكتب على كثرة عددها إذا حصلت كانت كالكتاب الواحد)[2].

وقد أورد ابن النديم (ت 438ه) في الفهرست أسماء خمسة وعشرين رجلا ألّفوا كتبا في غريب الحديث ، وضعهم في باب سماه : تسمية الكتب المؤلفة في غريب الحديث [3] .ومنهم النضر ابن شميل (ت203ه) ، ومعمر بن المثنى أبوعبيدة(ت209ه)،أبوعبيدة القاسم بن سلام (ت224ه)[4].ولو تصفحنا الكتب جميعها لوجدناها كما أشار الخطابي تحمل المادة ذاتها وتعالج المعالجة ذاتها ،كما تستشهد بالروايات نفسها ،فاللاحق يأخذ عن سابقيه أو يوافق معاصريه، وليس هذا بغريب في المؤلفات بعامة في تراثنا الأدبي واللغوي.

---

(1) لمحات في أصول الحديث ، ص 78. وانظر أيضا أدب الحديث النبوي ،شيخ بكري أمين (1989) ط5دار الشروق بيروت، ص69.

(2) الخطابي ،أبو سليمان ،(1982)غريب الحديث ، منشورات جامعة أم القرى بمكة ، ج1 ، ص 49 – 50

3– ابن النديم **الفهرست** ، ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ص135

4– النيسابوري ، الحاكم (1987) **معرفة علوم الحديث** ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط4 ، ص88.

الدراسات في إعراب الحديث

عني الباحثون في لغة الحديث الشريف بإعراب الحديث الشريف على غرار اهتمـــامهم بإعراب القرآن الكريم ، وليس إعرابه إلا لفهمه وتبصر معانيه ودلالاته ، وهو ذاتـــه الـــدافع الذي دفع إلى العناية بغريب الحديث يقول العكبري في مقدمة إعراب الحـــديث النبـــوي : "فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أن أملي مختصرا في إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث " [1] وجعل العكبري المسانيد الصحيحة مادة إعراب له .

وهناك كتاب إعراب الحديث للإمام السيوطي المسمى عقود الزبرجد على مـــسند الإمـــام أحمد، وقد أشار السيوطي في مقدمة كتابه الى أن كتابين فقط سبقاه إلى إعراب الحديث وهما إعراب الحديث للعكبري ، وشواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك [2] .

أما الجهود المتبقية في لغة الحديث فجلُّها بلاغي ، غيرمتخصص ،فلم نر كتابا مستقلا أفرده صاحبه لبلاغة الدعاء النبوي ، بل انتشرت التعليقات والتحليلات البلاغية حول الحديث الشريف بشكل عام في بطون الكتب هنا وهناك ، ولم تخص البلاغة المـــذكورة الـــدعاء دون غيره من الأساليب في الحديث النبوي .ولا نقلل أبدا من قيمة الجهود التي نشأت وتنامت حول الحديث فكل دراسة كانت، أثرت مكتبة الحديث الشريف وقدمت درسا من دروسه العظيمة.

---

(1) العكبري، أبو البقاء (1977) إعراب الحديث النبوي ، تحقيق عبد الإله نبهان ، مطبوعات مجمـــع الغة العربية ، دمشق ، ص1 .

(2) السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(1987) عقود الزبرجد على مسند الإمـــام أحمـــد ، تحقيق أحمد عبد الفتاح ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، ج1 ، ص5 .

وأشهر كتب البلاغة النبوية، المجازات النبوية للشريف الرضي(359 هـ - 406 هـ) الذي أراد به صاحبه الوصول إلى كل ما أثر عن رسول الله -عليه السلام - من مجازات واستعارات بديعة ولمع بيان غريبة ، يعظم النفع منها [1] .

ويطالعنا كتاب الفائق في غريب الحديث للزمخشريّ (467 هـ - 538 هـ) ، وهو الضليع بالبيان وأصوله ، صاحب كتاب أساس البلاغة الذي جعل له منهجا بيانيًّا واضحا ، حيث بيّن قوانين فصل الخطاب ، وميّز فيه الحقيقة من المجاز ، والكناية من التصريح [2] . واهتم الزمخشري بوجوه البلاغة النبوية وسحر بها، وسلّم بأنَّ كلامه- عليه الصلاة والسلام- هو زبدة الكلام كله [3] . ورصد كتاب عمدة القارئ للعيني بعض الظواهر البلاغية فمن بيان للمعاني إلى بيان للبيان. أمافي العصر الحديث فقد كثرت الكتب البلاغية التي تحاول كشف أسرار البلاغة النبوية ، وكانت في أغلبها لا تتجاوز تلمس الأساليب البيانية ، وإيراد الصور الحسية والمعنوية في الحديث ،أوالتطرق لمحسنات بديعية انتظمت فيه، ومنها كتاب في بلاغة الدعاء النبوي لعبد الرازق محمد محمود فضل. هذه الجهود جميعها إن دلت فإنما تدل على مدى اهتمام العلماء بالحديث النبوي الشريف ومكانته الرفيعة ،ولغته وبلاغته ، وإن كانت هذه الجهود قد شملته بشكل عام ولم تسلط الاهتمام على الدعاءالشريف, نحوه وصرفه وأساليبه ،ولم تدرسه دراسة وافية متخصصة.

---

(1) الشريف الرضي(1937) المجازات النبوية ، تحقيق وتعليق محمود مصطفى ، إلياس الحلبي ، مصر ص19

(2) الزمخشري، جاد الله (1979)أساس البلاغة ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ،المقدمة ص ل

(3) الفائق في غريب الحديث ج1 ، ص11

باب في رواية الحديث الشريف
أباللفظ هي أم بالمعنى

صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

" **نضّر الله امرءاً سمع منّا حديثا فبلَّغه كما سمعه فربَّ مُبلِغ أوعى من سامع** " [1] .إنَّ السّلامة إذن تستوجبُ أن يروي الصحابي الحديث كما سمعه وحفظه ، لا كما فهمه وتدبره ، ذلك أن بداية العهد النبوي ونزول الرسالة السمحاء ، كانا فاتحة عهد جديد وديـن ومبـادئ جديدة ، فحري بأصحاب الدين الجديد أن يتعلق بقلوبهم وحفيظتهم مايسمعونه ويتوقون لسماعه من الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

والعرب أهل فصاحة وبلاغة ونحو دقيق ، وهم يدركون جيدا كيف يتغير المعنى بتغيير بسيط ، في حركة أو حرف أو تقديم أو تأخير ، أو تتغيرالدلالة باستبدال لفظ بـآخر . فلـيس سهلا إذن أن يتناقل الرواة حديث الرسول –عليه الصلاة والسلام – كـلٌّ بروايتـه الخاصـة مبررا ذلك بالنقل بالمعنى .وقد طالعتنا عيون التراث من أمّات الكتب بحديث يطول ووصـف يدق عن فصاحة النبي العربي الأمين . فالجاحظ مثلا في البيان والتبيين يصف كلا م الرسول –عليه السلام– بأنه يجل عن الصنعة،ويتنزَّه عن التكلُّف ، قليل الحروف على كثرة المعاني ، ويجمع بين المهابة والحلاوة [2]. ويطول مديحه في كلامه عليه أفضل الـصلاة والتـسليم ، وإذا كان هذا رأي أديب بليغ ، فإنّه ليتفق تماما مع آراء رجال الدين ، يقـول جـلال الـدين السيوطي: " وأشهد أن

---

(1) الفارس ،الأمير علاء ،الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ترتيب تحقيق الشيخ أحمد شاكر ،دار المعارف بمصر ، ج1 ، ص 227 .

(2) البيان والتبيين، ج2 ،ص17

محمداً عبده ورسوله الذي بلَغ من إكمال الدين مأموله ، وآتاه جوامع الكلم،فنطــق بجــواهر الحكم ، وفاح من حدائق أحاديثه في الخافقين شذى أزهارها المطلولة صلى الله عليه وعلى آله ذوي الأصول الكريمة والأمجاد المأثولة "[1] .

فاذا كانت هذه آراء الفقيه والبليغ ، وهذه بلاغة النبي العربي الذي أوتي جوامع الكلم ، فمــا فائدتها إن لم تظهر للناس في كل زمان ومكان؟! لتدل على فصاحة الرسول صلى الله عليــه وسلم وبلاغته. وهل بلاغته تنحصر فقط في زمنه وأهله وناسه ؟ !

---

(1)السيوطي،جلال الدين(1979) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ،حققه وراجع أصــوله عبــد الوهاب عبد اللطيف ، دار إحياء السنة النبوية ، بيروت ، ط2 ، ج1 ، ص38

في دفع الرواية بالمعنى

لا يبدو قريبا للعقل أن تكون البلاغة وامتلاك ناصية اللغة حجة للرسول عليه السلام في عصره فقط ، أيعقل أن يُكتبَ لمعلقة امرئ القيس الخلودُ والبقاء ، ويكتبُ لأمثال الحكماء وخطبهم الحفظ في الصدور ولا يحفظ حديث رسول الله لفظا، وهو المصدر الثاني للتشريع ، والمفسر المبين لجمله وأحكامه، فكيف نسلم بالرواية بالمعنى ؟! وهي تفتح أبواب الشك والجدال في صحة المعاني وتنوع الدلالات ، وسيحمل الناس الكثير من الألفاظ التي قد تغير المعنى المراد ، ولا يرضى أحدنا بهذا أبدا .

نضيف لما سبق أن الطريقة التي انتهجها علماء الحديث تجعلنا نستبعد بقوة الرواية بالمعنى مع المحاذير التي تشوبها، وقد وصف ابن قتيبة طريقة علماء الحديث في الجمع والتدوين فقال : " فأما أصحاب الحديث فإنهم التمسوا الحق من وجهته ، وتتبعوه من مظانه ، وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلبهم لآثاره وأخباره ، برا وبحرا ، شرقا وغربا ، يرحل الواحد منهم راجلا مقويا في طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة ، حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة ، ثم لا يزالون في التنقير عن الأخبار والبحث لها حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، وعرفوا من خالفها من الفقهاء الى الرأي ، فتنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافيا، وبسق بعد أن كان دارسا واجتمع بعدأن كان متفرقا" [1]

---

(1) ابن قتيبة(1966) تأويل مختلف الحديث ، صححه محمد زهري النجار ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ص 73 – ص 74 .

لقد روى الناس الحديث في عهد الرسول –عليه السلام – إذن ، وتناقلوه وربما كتبه بعضهم دون تفكير بحفظه أو تدوينه . ومع نهاية القرن الأول الهجري ، بدأ التدوين ينعقد وينتظم وبدأ العلماء بتوثيق روايات الأحاديث وما يتعلق بالرجال والسند والمتن ، ومع نهاية القرن الثاني للهجرة بدت المؤلفات في السنة النبوية أكثر شمولا للنصوص والرواية والتوثيق . وكانت فيما بعد قمة الهرم في ظهور كتب الصحاح في القرن الثالث الهجري . واتسم أصحابها بالصرامة والتشدد في توثيق الحديث الشريف . كما التزموا الدقة المتناهية في تحرير السنة النبوية وتمحيصها وتنقيحها وتنقيتها من الشوائب والضعيف والدخيل [1] . ولا نحسب أحاديث رويت بعد هذا التحري والتحفظ والدقة والتمحيص إلا وتكون موثوقة مروية بألفاظها ومعانيها . ولقد ورد في الصحيحين المئات من الأحاديث التي دلت على دقة الرواة وحرصهم على الحديث وروايته كما سمعوه ، فقال سليمان بن مهران الأعمس : " كان العلم عند أقوام كأن أحدهم لأن يَخِرَ من السماء أحبُّ إليه من أن يزيدَ فيه واوا أو ألفا أو دالا " [2] .وكان الصحابة أشد إصرارا على رواية الحديث وتأديته باللفظ ، كمحمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما ، وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي : (وأما مالك بن أنس فكان يرى أن لفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز تغييره ، ويجوز تفسيره إذا أصيب المعنى[3] .وكان العلماء يخشون على الرواة من أن يلحنوا أو يخطئوا في النقل عن المصطفى –عليه السلام – فيقعون في الافتراء عليه[4].

---

1 –أدب الحديث النبوي ، ص25 .

2–البغدادي، الخطيب، الكفاية في علم الرواية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ص178

3– البغدادي،الخطيب،(1981) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الخطيب البغدادي ، تحقيق د محمد رأفت سعيد، ط1، مكتبة الفلاح بالكويت ، ، مجلد 2 ، ص90 .

4– الصالح،صبحي(1978)علوم الحديث ومصطلحاته ،ط1 دار العلم للملايين ، بيروت ، ص83 – ص84 .

موقف العلماء قديما وحديثا من رواية الحديث باللفظ هي أم بالمعنى ؟

وإن تكن قناعات البحث صدق رواية الحديث بلفظه ومعناه في كتب الصحاح الستة –وما ذاك إلا بعد اطلاع تام على صحيح مسلم بأجزائه كاملة وتأمل الأحاديث ، والتفكُّر في لغتها وبلاغتها– فلا بد له من عرض آراء من سبقوا هذه الدراسة ، وأدلوا بدلوهم في هذه المسألة المثيرة للجدل .

وهم في أغلبهم علماء حديث ، ونحاة وباحثون ، لم يستطيعوا إلا الإقرار بصحة الحديث بلفظه ومعناه ، وليس هذا ضرب بسهم ، أو قناعة غلبت وإنما هي تحقق ودلالة واعتماد على التوثيق والبحث والتمحيص في الحديث النبوي الذي إن قرأته سلبك ببلاغته ولفظه ومعناه وتأخيره وتقديمه وأساليبه وبيانه . وإذا جوّز بعض العلماء الرواية بالمعنى فإنما هو التجويز العقلي ، الذي لا ينافي وقوع النقيض ، فهم إذن في المعنى حريصون كل الحرص ، شديدون أيما شدة ، خشية الخطأ، فيعود بهم ذاك إلى سهولة الرواية باللفظ أصلا على تحمل هذه المشقة.

وكل كتب الصحاح التي جمعت الأحاديث الشريفة وكتب المسانيد ، والدراسات التي اتصلت بالحديث الشريف ، موثقة أيما توثيق ، وتظهر الدقة وحسن التحري فيها ، وقد عملت على تمييز الأحاديث الصحيحة عن غيرها من الضعيفة والموضوعة .فهي إذن قامت لتتبع الحديث الذي صح لفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليست تخلو من حديث : أخبرنا ، سمعنا ،وكلها مفردات تدل على الرواية باللفظ لا بالمعنى.

وفي الدراسات الحديثة أورد حسن الشاعر في كتابه النحاة والحديث النبوي قولا للشيخ أحمد كحيل في موضوع الحديث والاستشهاد به، وأشار إلى أن نحاة الأندلس المتأخرين أكثروا من الحديث الشريف على سبيل الاستظهار والاستشهاد ويرى أن عدم احتجاج المتقدمين بالحديث راجع إلى عدم تداول الحديث بينهم لا لروايته بالمعنى[1]. وهذا يمثل ضمنيا رأي الدكتور حسن الشاعر في أن الحديث روي بلفظه ومعناه .

وقد عرضت الدكتورة خديجة الحديثي(1981) في كتابها موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف لهذاالموضوع ، ومثلُها الدكتور بكري شيخ أمين وصبحي الصالح ، وغيرهم الكثيرون . وخلاصة القول في هذا أن معظم النحاة والباحثين المحدثين ،عرضوا للمسألة من كافة زواياها، واتفقوا على أن هناك أحاديث لا ينبغي التشكيك فيها ويصح الاحتجاج بها، خاصة تلك التي قصد بها الاستدلال على فصاحة الرسول عليه الصّلاة والسلام كقوله –عليه السلام–:" **حمي الوطيس** "، "**ومات حتف أنفه**" . فأنّى يقصد إظهار فصاحة الرسول عليه السلام والمعنى له واللفظ لسواه ؟ ! وكيف تكون البلاغة واضحة في اللفظ وهو ليس له!؟ ويقاس عليها ما صح من أحاديثه عن العبادة، والأذكار والأدعية ، نخص بالحديث الأدعية والأذكار ، إذ هما فنٌّ جرى على لسان الرسول عليه السلام أشرف الخلق بهديه ووحيه وعلمه، وانصرافه لله عز وجل ، فأخذ الصحابة رضوان الله عليهم ينهجون نهجه ويتبعون قوله بلفظه ،بل وبحذافير

---

(1) الشاعر ، حسن موسى (1980)، النحاة والحديث النبوي، ، ط1، وزارة الثقافة والشباب ، ص62.

قوله يحفظونه وينقلونه ،خاصة ما عني بإظهار معرفة رسول الله بلهجات العرب ومـــا كـــان كفيلا بابراز فصاحته وبلاغته عليه أفضل الصلوات والتسليم. وهذا كان الدافع الأبرز لتحليلنا الدعاء النبوي في هذا البحث. وقد ظهر التكرار في جمل الدعاء النبوي كما ســـنرى لاحقـــا ،إشارةً واضحة على الرواية باللفظ ، وإلا لأسقطت الزيادة لو أريد المعنى فقط.

الفصل الرابع

التحليل النحوي لأحاديث الدعاء في صحيح مسلم

- الدعاء بالجملة الخبرية (الاسمية والفعلية) تفيد الطلب

1- جملة فعلية فعلها ماض

2-جملة فعلية فعلها مضارع

3-جملة اسمية (مبتدأ وخبر)

- تحليل الأدعية المبدوءة باللهم:

* أسلوب النداء

* الدعاء باللهم:

1- اللهم ،جملة اسمية

2- اللهم ، جملة اسمية منسوخة

3- اللهم ،متبوعة بلا النافية للجنس

4- اللهم ،شبه جملة

5- اللهم ،اسم فعل أمر

6- اللهم ،جملة شرطية

7- اللهم ،جملة استفهامية

8- اللهم ،منادى بأداة نداء محذوفة

9- اللهم جملة فعلية: - فعلها ماض

- فعلها مضارع

- فعلها أمر

- فعلها مقدر

10- اللهم ، جملة شرطية

- نظرة في نحو الدعاءالنبوي

الدعاء في العربية

الدعاء في العربية من الأساليب الإنشائية ، وهومتضمن في صيغتي الأمر والنهي من الأقل منزلة للأعلى منزلة، لغرض الدعاء . ولما هم البحث باستقصاء أحاديث الدعاء في صحيح مسلم وأحصاها، وجدها تناهز المئة مع إهمال الحديث المكرر على اختلاف الرواية، ووجد جلّها مصدَّراً بالمنادى اللهمَّ ، إذ تكررت كلمة اللهمَّ في الصحيح مئة وثلاث عشرة مرة كقوله عليه السلام :

- «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»[1] .
- «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**» [2] .

ونادرة هي الأحاديث التي تخلو من المنادى ، فتبدأ بفعل مباشرة ، كقوله عليه الصلاة والسلام: - «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**» [3] .

- «**أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**» [4] .

أو تبدأ باسم (مبتدأ) أو نائب عن المفعول المطلق كقوله عليه الصلاة والسلام :

- «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**» [5] .
- « **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** »[6]

---

(1) صحيح مسلم ج2 ، ص67 .

(2) صحيح مسلم ج3 ، ص 75 . المغرم:الدين.

(3) صحيح مسلم ج9 ، ص28 .

(4) صحيح مسلم ج9 ، ص 31 .

(5) صحيح مسلم ج9 ، ص31

(6) صحيح مسلم ج9 ، ص31 .

ولما كانت الجمل في الأحاديث النبوية بعامة طويلة ومركبة ، وفي الأحاديث الدعائية قصيرة ومبدوءة باللهم في أغلبها ، كان تحليل الدعاء النبوي من خلال تحليل الجمل والنظر فيها كما يلي :

- الدعاء بالجملة الخبرية (الفعلية والاسمية)
- الدعاء بالجملة الطلبية المسبوقة باللهم ،بالنظر إلى نوع الجملة بعد المنادى (اللهم).

الجملة الخبرية تفيد الطلب

أولا : الجملة الفعلية والاسمية التي معناها الطلب

الجملة الفعلية هي الجملة التي صدرها فعل ومثله :ضرب ، كتب ، أخذ ، وأشار سيبويه إلى الفعل بقوله : " أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع " [1] . ويقصد ببناء ما مضى ،الأفعال كذهبَ وشربَ ورفعَ ، وما لم يقع كاذهبْ واشربْ وارفعْ ، وما هو كائن لم ينقطع المضارع كيذهبُ ، يلعبُ ويركضُ . وتعد الجملة فعلية أو اسمية تبعا للفظ الأول المبتدأ به ، ويكون عليه مصب الاهتمام ومعقد الجملة ، ومدار الحديث ، وتقدمه يشير إلى سبب إنشاء الجملة ، فإذا تقدم الاسم كانت اسمية ، وإذا تقدم الفعل – باختلاف زمنه – كانت فعلية . والأفعال ثلاثة كما سلف : ماض ومستقبل ومضارع دائم في الحال . يقول الزجاجي بأن الماضي كان في الأمس وانتهى ، والمستقبل ما حسن في غد ، والمضارع فعل في الحال[2] .

ويدخل في الجملة الفعلية كل جملة مبدوءة بمنصوب على الاشتغال كقولنا :

– الخبزَ أكلتُه . فتقدير الفعل العامل هنا هو أكلت الخبز أكلته .

والجملة المبدوءة بحال تقدمت صاحبها كقولنا : منتصراً عادَ القائدُ . وعُدّت هذه الجمل فعلية

---

(1) سيبويه ، بشر عمرو بن عثمان ،الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون،عالم الكتب بيروت ج1 ، ص12

(2) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (1984) الجمل في النحو تحقيق د. علي توفيق ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، ص7 –8 .

لأنّ الأسماء المتقدمة فيها على نية التأخر[1].

وقد عني العلماء بمعرفة أي الافعال أسبق فمنهم من رأى أن المستقبل هو الأصل؛لأن الأصل في الشيء عدمه ثم وجوده ؛ فالعدم سابق الوجود ،يليه الفعل المضارع ثم الماضي، وهذا رأي الزجاجي والعكبري، أما السيوطي فيرى الأسبقية للفعل المضارع،لأن الأصل في الفعل عنده أن يكون خبرا ، والأصل في الخبر الصدق ، وفعل الحال مشار إليه فله من الوجود حظ وأسبقية. وطال بحثهم حتى خلصوا ،جلُّهم، إلى أن الأمر هو الأسبق مرتبة ، يليه المضارع فالماضي[2] . والجملة الخبرية لايكون فعلها إلا ماضيا أو مضارعا؛ ففعل الأمر يجعلها جملة طلبية (إنشائية). والأصل في الجملة الخبرية أنها تلقى لغرضين:الأول إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة،والغرض منها فائدة الخبر ، والثاني إفادة المخاطب بأن المتكلم عالم بالحال،ويكون الغرض هنا لازم الفائدة[3].إذن الأصل في الجمل الخبرية أن لا تستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب. ولما كان الدعاء مشيرا ودالا على صيغة المستقبل ، بطلب حصول الشيء المدعو به ، نجد جلَّ الجمل الفعلية مبدوءة بفعل أمر أو متضمنة إياه ومحتوية عليه في سياقها : كاغفرْ ، باعدْ ، اجعلْ والعنْ ، كقوله عليه الصلاة والسلام :

-- **اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسِنِيِّ يُوسُفَ** [4] .

-- **«اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ** [5] .

---

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب(1964) ابن هشام الأنصاري , تحقيق د.مازن المبارك دار الفكر ، دمشق ، ج1 ، ص421.

(2) الزجاجي ،أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (1959)، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق د.مازن المبارك ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ص85

(3)عتيق،عبد العزيز،في البلاغة العربية،دار النهضة العربية ،بيروت.

(4) صحيح مسلم ،ج3 ، ص 156 .

(5) صحيح مسلم ، ج3 ، ص .

ولم يمنع ارتباط الدعاء بصيغ الأمر والنهي، من ورود أنماط الدعاء في الحديث الشريف في الجمل الخبرية الخالية من الأساليب الإنشائية ، سواء أكانت اسمية أم فعلية مبدوءة بفعل مضارع أو فعل ماض ، وهذا يمثله قوله عليه الصلاة والسلام :

- «**قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» (1) .

- «**رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**» (2) .

وحقيقة الجمل التي سبقت أنها فعلية تركيبا ، فهي مبدوءة بفعل وفاعل ومفعول به ، ولكن معناها طلبي ، فقوله عليه السلام : قاتل الله اليهود ، يعني الدعاء عليهم بالويل والثبور ، ويرحم في قوله : يرحم الله موسى ، معناه الدّعاء لكليم الله بالرحمة .

ولقد وردت الجملة الفعلية الخبرية في غير موضع في الحديث الشريف ، لتدل على الإنشاء الطلبي بمعنى الدعاء ، متنوعة بين الماضي والمضارع ، ودون أن تسبق بكلمتي (اللهم ورب).ومن الماضي الذي أفاد الطلب دعاء الرسول عليه السلام للحسين بن أبي بكرة – وقد ركع خلف الناس قبل أن يصل إلى الصف – قائلا :

-«**زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلاَ تَعُدْ**»(3) .

فظاهر الجملة أنها خبرية فعلها ماض،إلا أن معناها طلبيّ وهو دعاء الرسول –عليه السَّلام –للصحابي بزيادة الحرص على حضور صلاة الجماعة ، والشاهد هنا(زادك) .

---

(1) صحيح مسلم /ج3، ص11 .
(2) صحيح مسلم / ج2 ، 739 .
(3) فتح الباري /ج2 ، 267 .

ومنه – دعاؤه عليه السلام– قائلا :

– «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» [1] .

والفعل (اشتد) يقصد به الرسول إنزال الله عقابه وغضبه الشديدين بهؤلاء القوم .وقد أخرج الطبراني ذلك في معجمه الكبير إذ يقول : (ثم قال يومئذ : اشتَّد غضبُ اللهِ على قومٍ دمُّوا وجهَ رسولِهِ ، ثم مكث ساعة ثم قال : **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**)[2] .

فقد رجع الرسول إلى الدعاء لهم بالغفران ، دليل أنه كان قد دعا عليهم من قبل ،فجملة(اشتد غضب الله) دعاء عليهم بالويل والعذاب.ثم عاد فاستغفر لهم رحمة بهم وشفقة على حالهم وهذا حال الأنبياء والرسل مع أقوامهم ،يدعونهم إلى الدين الجديد ،فيقابلون بالأذى والعذاب ، فيصبرون ويتوجهون إلى بارئهم الذي بعثهم بالحق ، ليهدي القوم أو يدمر الذين فجروا.

ومن الجمل الخبرية التي أفادت الدعاء في الحديث النبوي الشريف، قوله عليه السلام لصحابي تزوج :

– «**فَبَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[3] .

فهو يدعو له بالبركة واليمن وحسن المآل؛وقد أتم دينه وأحصن فرجه ،ومما يزيد البركة وينشر الحبور بين الناس ،إطعام الطعام مهما تواضع. وهو ما أوصى به رسولنا الكريم.ومن الأحاديث التي ورد فيها المضارع بمعنى الطلب ، قوله عليه السلام كما أسلفنا : ((يرحم اُللهُ موسى)).

---

(1) صحيح مسلم ج3 ،1417 .

(2) الطبراني ،الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد(1979) المعجم الكبير / وزارة الأوقاف العراقية ، إحياء التراث الإسلامي ط1 ، ج6 ، ص200—201 .

(3) صحيح مسلم،ج5 ص178

إذ يدعو النبي الأمين لكليم الله موسى –عليه السلام– بنزول الرحمة عليه على الدوام باستخدامه الفعل المضارع الذي يوحي بالاستمرار والتجدد؛ لصبره على أذى قومه وغدرهم ،وقد وجد –عليه الصلاة والسلام– في ذلك عزاء لنفسه مما يعانيه مع أهله وعشيرته من الأذى والإنكار.

– ومن دعائه أيضا قوله: : « **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** » [1].

والدعاء هنا بطلب الحماية والصون من كافة الشرور التي مصدرها المخلوقات.

ومثل الجملة الفعلية في إفادتها الطلب ، الجملة الاسمية . وردت بضعة أحاديث دعائية للرسول –عليه الصلاة والسلام– ظاهرها وتركيبها جملة اسمية خبرية ، ومعناها طلبي يفيد الدعاء وشاهد هذا قوله عليه السلام :

– «**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**»[2] .

وطوبى اسم مرفوع على أنه مبتدأ، ، وشبه الجملة من الجار والمجرور في محل رفع الخبر، أما طوبى فهي أطيب شجر الجنة،وهي جزاء من يدافع عن راية الله لتكون هي العليا ، فالرسول لا يخبر عن هذه الشجرة وحالها، بل يدعو للعبد الصالح أن ينالها ما دام مجاهدا غازيا في سبيل الله.

---

(1)صحيح مسلم ،ج9،ص27

(2) فتح الباري ج6 ،ص817 .

ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام :

- «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [1] .

وكان هذا الحديث في مرض الرسول -عليه السلام- الذي لم يقم منه ، وكان يتخذ على وجهه خميصة. فإذا اغتم يكشف وجهه وهو يردد هذا الدعاء، يدعو على اليهود والنصارى بالطرد والإبعاد من رحمة الله ،خشية أن يفعل المسلمون ما فعلوا ، فيتخذوا قبره مسجدا.

نلاحظ إذن أن الدعاء النبوي رغم اعتماده صيغتي الدعاء المشهورتين (الأمر والنهي) ،من الرسول إلى ربه وخالقه ،إلا أنه استخدم صيغ الأفعال الماضية والمضارعة التي كانت جزءا من تراكيب جمل فعلية لتدل على الدعاء، وورد كذلك في الجمل الإسمية التي هي خبرية في الأصل أفادت الطلب ، لا إنشائية كما اعتدنا وتحت هذا البند تندرج الأذكار من حمد، وتسبيح ،وتكبير كالحمد لله ولا إله إلا الله.

---

(1) صحيح مسلم 3 ، ص11 .

تحليل الأحاديث الدعائية المسبوقة باللهمَّ

اولا :أسلوب النداء

قال سيبويه في النداء إن كل اسم مضاف فيه ، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب . وأشار الخليل- رحمه الله- إلى أنهم نصبوا المضاف ، نحو يا عبد الله ، ويا أخانا ، والنكرة حين قالوا: يا رجلا صالحا ، حين طال الكلام ، كما نصبوا هو قبلك وهو بعدك [1] .

وإذا كان المنادى مفردا ، رفعوه قياسا على قبل وبعد ، كقولك يا زيد ويا عمرو ، وتركوا التنوين بالمفرد كما تركوه في قبل [2] . ويقصد بالمفرد ما ليس مضافا ولا شبيها به ، ولو كان مثنى أو مجموعا [3] .

وجعل الأصل في المنادى النصب واختلفوا في العلة ، فالبصريون يقودهم سيبويه ، جعلوا المنادى بمنزلة المفعول به . وذكروا أن ما يقدر ناصبا ،هو (أدعو) أو (أنادي) لكن ذلك على جهة التمثيل والتقريب ، فقد أجمعوا أن النداء ليس بخبر . وأدوات النداء المشهورة في العربية (يا ،أي،الهمزة،أيها) ؛ منها ما يستعمل للبعيد ،ومنها ما يستعمل للقريب. أما في الدعاء النبوي الشريف فنجد أكثر الأدعية مبدوءة بالمنادى اللهمّ، وأداة النداء محذوفة متضمنة في لفظة (اللهمّ).

---

(1) الكتاب ، ج2 ، ص182 .

(2)ابن جني،أبو الفتح عثمان(1979) ،اللمع في العربية تحقيق حسين محمد شرف ، ط1 عالم الكتب بالقاهرة ، ص 192 .

(3) الأنصاري، ابن هشام(1998) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ،بيروت ، ص143 .

الدعاء باللهم

والنداء **باللهمّ** هو في علم المعاني دعاء ، وقد أشار سيبويه إلى أن الخليل كان أول من جعلها في باب النداء ، حيث يقول :

" وقال الخليل رحمه الله : اللهمّ نداء ، والميم هاهنا وضعت بدلا من (يا)، إذن يشير الخليل رحمه الله إلى أن آخر الكلمة بمنزلة(يا) في أولها ، إلا أن الميم هنا في الكلمة كما أن نون المسلمين في الكلمة بنيت عليها ، فالميم في هذا الاسم حرفان ، أولها مجزوم ، والهاء مرتفعة لأنه وقع عليها الإعراب ، وإذا ألحقت الميم تنصب الاسم ، من قبل أنه صار مع الميم عندهم بمنزلة هون ، كقولك يا هناه " [1] .

وفي كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ، عرض ابن الأنباري لهذه المسألة ، وبين فيها رأي الفريقين وأشار إلى أن البصريين يعدون الميم المشددة في اللهمَّ عوضا عن (يا) المحذوفة.

ولم يجر عند العرب أن يجمعوا بين أداة النداء و اللهم ، ذلك أن العوض والمعوّض لا يجتمعان. أما في نظر الكوفيين فالمسألة مختلفة وأجازوا الجمع بين الأداة والميم ؛ذاك أن الميم ليست عوضا عن (يا)، وساقوا شاهدا ،لم يُعرف صاحبه ،وقيل صنعوه، يقول:

إنِّي إذا حَدثٌ ألمّا أقولُ يا اللهمّ يا اللهمّا

---

(1) الكتاب ، ج2 ، ص196 .

فالكوفيون يرون أن الميم اختصارا لجملة (أمِّنا بخير) المحذوفة ، إذ كَثُرَت في كلام العرب فحذفوها للتخفف [1] ،مثلما قالوا :عم صباحا، اختصارا لأنعم صباحا.وقالوا: ويلمه ،اختصارا لويل أمه، وهذا الاختصار يجري عندهم طلبا للتخفف والسرعة، وهذا كثير عند العرب.

وفي الدعاء النبوي وردت (اللهمّ) في تراكيب لغوية متنوعة ، فقد وردت مع الجملة الاسمية والجملة الفعلية التي فعلها ماض والتي فعلها أمر ، ووردت مع اسم فعل الأمر ، كما وردت مع جملة النواسخ ، وجملة لا النافية للجنس ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

أولا : اللهم تتبعها جملة اسمية :

ونبدأ بها ؛ لأنها النمط الأقل ورودا في الدعاء النبوي مع المنادى اللهم ، ومن الأحاديث الشاهدة على ذلك قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» [2] .

-- «**اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ** »[3] . **يَعْنِي الْأَنْصَارَ.**

---

(1) ابن الأنباري(1961) الإنصاف في مسائل الخلاف،المكتبة التجارية الكبرى ، ط4 ،ج1 ص 341—346 .

(2) صحيح مسلم ،ج4 ، ص414 .

(3)صحيح مسلم ،ج8 ، ص 251 .

-« اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » (1) .

- « اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» (2) .

يلاحظ على (اللهم) في الأحاديث السابقة أنها متبوعة بمبتدأ وخبر ، فالمبتدأ في كل الأمثلة (أنت) والخبر اسم مفرد صريح (السلام ، ربي ، الأول) وشبه جملة (من أحب الناس) .والجملة في هذه الصورة جملة بسيطة ، والجملة الاسمية الأساسية هي جملة المبتدأ والخبر . عرفها سيبويه فقال :

" المبتدأ كل اسم ابتدئ به ليبنى عليه كلام ، والمبتدأ والمبني عليه رفع ، والابتداء لا يكون إلا بمبني عليه ، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه ، فهو مسند ومسند إليه ،فأما المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء ، وذلك قولك : عبد الله منطلق ، ارتفع عبد الله لأنه ذكر ليبني عليه المنطلق ، وارتفع المنطلق، لأن المبني على المبتدأ بمنزلته "(3) .

---

(1) فتح الباري ، ج11 ، ص 98 . أبوء: أحتمله وأعترف به،انظر المعجم الوسيط،مادة باء.ص75

(2) صحيح مسلم ،ج9 ، ص 33 .

(3) الكتاب، ج2 ص126 –127 .

ويعرفها ابن هشام بأنها الجملة التي صدرها اسم كزيد قائم [1] .

وعرف ابن جني المبتدأ بأنه كل اسم ابتدأت به وعريته من العوامل اللفظية وعرضته لهـــا ، وجعلته أولا لثان ، يكون الثاني خبرا عن الأول ، ومسندا إليه وهو مرفوع بالابتداء [2] .

ورأي النحاة المحدثين لا يخرج عن هذه التعريفات ، فالمبتدأ محكوم عليه ، مخبر عنه ومسند إليه والخبر محكوم به ، مخبر به ومسند . وبالنظر إلى الأمثلة الـــسابقة ، نـــرى أن المـــسند والمسند إليه (أي المبتدأ والخبر) واضحان أيما وضوح .

وقد وردت الجملة الاسمية في دعاء الرسول –عليه السلام – على الأنماط الآتية :

1– المبتدأ ضمير رفع منفصل والخبر اسم معرفة ظاهر . ومثله :

- «**اللهمَّ أنتَ السَّلامُ** » [3].
- «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ**» [4] .
- «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي**» [5] .
- «**اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ**» [6] .

فنرى أن المبتدأ في الأمثلة السابقة ضمير الرفع المنفصل(أنت) وأما الخبر فهو اســـم ظـــاهر معرف بأل أو بالإضافة (السَّلام،الأوَّل،الصَّاحب، ربِّي).

---

(1) مغني اللبيب ،ج 2 ، ص 420 .
(2) اللمع ، ابن جني ، ص 109 .
(3) صحيح مسلم ج3ص 78
(4) المصدر السابق ج9 ص33
(5) فتح الباري ج11ص 98
(6) المصدر السابق ج5ص93

2- المبتدأ ضمير رفع منفصل والخبر شبه جملة (جار ومجرور) :

-« **اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ**» [1] .شبه الجملة من الجار والمجرور (من أحب) في محل رفع الخبر.

3- المبتدأ اسم ظاهر ، معرفة مؤخر ، والخبر شبه جملة (جار ومجرور) :

-- «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ** » [2] .

الحمد مبتدأ مؤخر وشبه الجملة (لك) في محل رفع خبر مقدم،وغاية التقديم بلاغية لقصر الحمد على الله. ونحوا يتقدم الخبر على المبتدأ وجوبا في مواضع عدة منها عندما يكون الخبر محصورا بالمبتدأ، كما هو في المثال السابق.

4- المبتدأ اسم إشارة والخبر اسم ظاهر معرفة :

-- «**اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**»[3] .

هؤلاء اسم إشارة مبني في محل رفع المبتدأ، وأهلي خبر المبتدأ.

ثانيا : اللهم تتبعها الجملة الاسمية المنسوخة :

سمى النحاة إن وأخواتها نواسخ الابتداء ، لما تغيره في حركة كل من المبتدأ والخبر إذا أدخلت عليهما ،وكيف أنها تنسخ الصدارة عن المبتدأ إلى أداة تسبقه. يقول سيبويه عن إن وأخواتها : أن ، لكن ، ليت ، لعل ، وكأن ، بأن منزلتها من الأفعال ؛فهي تغير الجملة الاسمية من حال إلى حال . ويقول الخليل إنها عملت عملين ، رفعت ونصبت [4] . و إن وأخواتها تدخل على الجملة الاسمية فتنصب الأول ويسمى اسمها ، وتبقي الثاني مرفوعا ويسمى خبرها .

---

(1) صحيح مسلم ج8ص251

(2) صحيح مسلم،ج2،ص363

(3) صحيح مسلم ج8 ص153

(4) الكتاب ، ص 131 .

وسمّاها ابن هشام الأحرف الثمانية الداخلة على المبتدأ والخبر ، فتنصب المبتدأ وترفع الخبر ، وشرح دلالات كل حرف [1].

ولقد وردت الجملة الاسمية المنسوخة في التركيب اللغوي لدعاء الرسول –عليه السلام – مسبوقة باللهمّ في مواضع كثيرة، ولقد رصد البحث هذه المواطن فأحصاها على نمطين :

النمط الأول : اسم إن ضمير متصل ، خبرها جملة فعلية فعلها ماض أو مضارع

- **«اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»**[2] .
- **«اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»** [3] .

- **« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ»** [4] .

-- **«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»** [5] .

-- **«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»** [6] .

---

(1) ابن هشام،جمال الدين (1979) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،ط 5دار الجيل ، بيروت، ص328 .

(2) صحيح مسلم ج2ص 260

(3) صحيح مسلم ج3 ص75

(4) صحيح مسلم ج3 ص76

(5) صحيح مسلم ج 3ص 194

(6) صحيح مسلم ج 3ص374

-- «اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى» [1] .

--«اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ» [2] .

-- «اللهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بكَ منْ شرِّ ما عَمِلتُ ومِن شَرِّ ما لمْ أَعْمَل» [3] .

-- «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» [4] .

-- « اللهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العجز الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ، وَالْمَغْرَمِ» [5] .

-- «اللهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» [6] .

- «اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ » [7] .

- «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ» [8] .

---

(1) صحيح مسلم ج 5 93

(2) صحيح مسلم ج5ص113

(3) صحيح مسلم ج9ص33

(4) صحيح مسلم ج9 ص 24

(5) صحيح مسلم ج9 ص26

(6) صحيح مسلم ج9ص25

(7) صحيح مسلم ج9ص29

(8) صحيح مسلم ج 9ص30

- **«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»** [1] .

- **«اللهُمَّ إنّي أَعُوذُ بكَ من العَجْزِ والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ ، وعَذَابِ الْقَبرِ ، اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواها وزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاها »** [2] .

-**« اللهُمّ إنّي أَعوذُ بكَ مِن عِلمٍ لا يَنفَع ، ومِن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، ومن نفْسٍ لا تَشْبَعُ ، ومن دَعوةٍ لا يُسْتَجابُ لها »** [3] .

- **«اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»** [4] .

- **«اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»**[5]

- **«اللهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[6]

يلاحظ أن النمط السابق هو أكثر الأنماط ورودا في دعاء المصطفى عليه السلام، إذ إن خبر إن ضمير المتكلم (الياء) في كل مرة،إلا واحدة كان فيها الاسم ضمير المتكلمين(نا).ولم ترد إن مع ضمائر الغائب أو المخاطب في دعائه قط. أما الخبر فاتخذ نمطين :الأول جملة فعلية فعلها مضارع ،وكانت الأفعال الأكثر ورودا على لسانه (أعوذ،أسألك)،والثاني جملة فعلية فعلها ماض (أسلمت،ظلمت).

---

(1) صحيح مسلم ج9 ص38
(2) صحيح مسلم ج9 ص26
(3) صحيح مسلم ج9 ص38
(4) صحيح مسلم ج9 ص37
(5) صحيح مسلم ج9 ص48
(6) صحيح مسلم ج 8 ص325

النمط الثاني : اسم إن ضمير متصل ، خبرها اسم ظاهر

ورد هذا النمط مرة واحدة فقط في قوله عليه السلام :

- «**اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**»[1] .

النمط الثالث : إنّ مكفوفة

ورد هذا النمط مرة واحدة في الدعاء النبوي ، في قوله عليه الصلاة والسلام :

- «**اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً**»[2] .

ثالثا : اللهم متبوعة بلا النافية للجنس :

وهي محمولة على إن ولذلك نصب بها الاسم ورفع الخبر ، قال نهار بن توسعة التشكري :

أبِي الإسْلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افْتَخَرُوا بقيسٍ أو تميمِ [3]

وتختلف (لا النافية للجنس) مع إنّ في المعنى والغاية ،إذ تفيد (إنّ) التوكيد في حـــين أن(لا) للنفي وقد وردت لا النافية للجنس في عشرات الأحاديث النبوية الشريفة في الصحيحين،إلا أن هذا التركيب ندر وروده في الدعاء النبوي الشريف ، ولم ترد عليه إلا بضعة أحاديث منهـــا قوله عليه السلام :

- « **اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ، فَانْصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ** » [4] .

- «**اللهُمّ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[5] .

(1) صحيح مسلم ج 6 ص185
(2) صحيح مسلم ج 8 ص352
(3) الزمخشري ،أبو القاسم (2006) ،المفصل في علم العربية المكتبة العصرية ، بيروت ، ص66
(4) صحيح مسلم ج6 ص347
(5) صحيح مسلم ج 2 ص 263 وانظر فتح الباري ج 2 ص 325

رابعا : اللهم متبوعة بشبه جملة جار ومجرور أو ظرفية :

1- شبه جملة جار ومجرور، ويمثلها قوله عليه السلام :

«**اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ**» (1) .

2- شبه جملة ظرفية ويمثلها قوله عليه السلام :

«**اللهُمَّ حَوْلَنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللهُمَّ عَلَى الْآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» (2).

خامسا : اللهم متبوعة باسم فعل أمر :

ومنها قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ** » (3) .

-- «**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**» (4) .

وهذا الدعاء يندرج تحت مسمى الدعاء على ، أي طلب العقاب والاعتداء على المدعو عليه بخلاف معنى الدعاء الأصلي ، وهو طلب جلب منفعة أودفع ضرر.

سادسا : اللهم جملة شرطية :

ورد هذا الأسلوب على نحو قليل في حديث الرسول ، منها قوله عليه الصلاة والسلام :

-- «**اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ** » (5) .

-- «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**» (6) .

---

(1) صحيح مسلم ج9 ص32

(2) صحيح مسلم ج3 ص 369 الآكام جمع أكمة وهي ما دون الجبل وأعلى من الرابية.الظِّراب :الروابي

(3) صحيح مسلم ج6 ص330

(4) صحيح مسلم ج6 ص333

(5) صحيح مسلم ج6 ص275

(6) صحيح مسلم ج6 ص 380

-- « **اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**» [1] .

-- « **اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي** » [2]

.وتقدير الجواب المحذوف في المثال الأخير(توفني) وحذف الجواب هنا جوازا ؛ للدلالة على الجواب في الجزء الأول من الحديث.وقد ورد هذا النمط في القرآن الكريم كقوله عز وجل: ﴿أينما كُنتم يدركم الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيَّدة﴾ النساء آية 78، وتقدير الجواب يدركم الموت.

<u>سابعا : اللهم متبوعة بجملة استفهامية :</u>

- « **اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ اشْهَدْ** ؟ » [3] .وقد وردت(هل) في مواطن عدة في الحديث الشريف بعامة مع الجمل الاسمية والفعلية على الوجه الحقيقي للاستعمال اللغوي، إلا أنها وردت في هذا الموطن فقط لغاية الدعاء.

<u>ثامنا : اللهم يتبعها منادى بأداة نداء محذوفة :</u>

ورد هذا النمط اللغوي بشكل ظاهر في أدعية الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومنه قوله :

--« **اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**» [4].

-- «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»[5] .

- «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ**

---

(1) صحيح مسلم ج6 ص275
(2) صحيح مسلم ج9 ص7
(3) صحيح مسلم ج9 ص184
(4) صحيح مسلم ج 2 ص363
(5) صحيح مسلم ج8 ص372

وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» (1) .

-- **«اللهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللهُمَّ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»** (2) .

--**« سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ »** (3) .

-- **«اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ »** (4) .

بالتدقيق في الأمثلة السابقة يلاحظ أن المنادى جاء على الترتيب(ربنا،مصرف، رب، منـــزل، ربي، رب) دون أن يسبق بأداة نداء، ومن البلاغة أن تحذف الأداة ؛ وذلك للدلالـــة علـــى أن المنادى أقرب للمنادي من أن يوظف له أداة، ويكون هنا تأكيدا على القـــرب الحاصـــل بـــين الرسول – عليه السلام– وربه، والإيمان الأكيد الراسخ الذي يدفع العبد لسؤال خالقه مؤمنـــا بقربه مؤملا الاستجابة.وقد أجاز النحويون الحذف استغناء إذا لم يخلّ بالمعنى ، فـــلا يجـــوز الحذف مع المبهم من القول بل يجب إثبات الأداة ،كقول أحدنا : يا هذا.ويلاحظ على الأدعية السابقة كلها أن المنادى فيها معرف بالإضافة معلوم بيِّن، عدا أن المخاطـــب رب العـــالمين القريب البصير، فيحسن حذف الأداة.

---

(1) صحيح مسلم ج9ص 30

(2) صحيح مسلم ج6 ص 242

(3) صحيح مسلم ج9ص 31

(4) فتح الباري ج 2 ص 92

تاسعا : اللهم ، جملة فعلية :

يرد هذا التركيب بكثرة في الدعاء النبوي ، ونستطيع القول إنه يشكل الطابع الأشهر في دعائه عليه أفضل الصلاة والتسليم . ولكثرة الشواهد على هذا التركيب ارتأت الباحثة أن يأتي التفصيل فيه تحت ثلاثة أقسام :

القسم الأول: اللهم جملة فعلية ، فعلها ماض

وهذا القسم هو الأقل ورودا في الجملة الفعلية – ولا عجب – اذ إن الدعاء يمثله فعل الأمر أكثر من الماضي والمضارع ، وقد ورد هذا التركيب في الدعاء النبوي في قوله عليه السلام : -- «**اللهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ** » [1].

– «**اللهُمّ لكَ أسْلَمْت ،وبكَ آمنتُ ، وعليكَ توكَّلتُ ، واليكَ أنَبْتُ ، وبك خاصَمتُ ، اللهمَّ إني أعوذُ بعزَّتِك لا إلهَ إلا أنتَ ،أنْ تُضَلَّني، أنتَ الحيُّ الذي لا يموتُ والجنُ والإنسُ يموتون**» [2].

--«**اللهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ**» [3] .

إن الأفعال هنا وإن دلت على الماضي لفظا تخرج للدلالة على الاستمرار والحالية، فالأفعال (أسلمت وفوضت وألجأت توكلت وأنبت)لاتقف أبدا عند وقت الحدوث في الماضي بل تتعداه لتشير الى الدوام والحالية فالإسلام والإنابة واللجوء وغيرها من الأفعال الإيمانية تبدأ لتستمر ،

---

(1) صحيح مسلم ج9 ص 29

(2) صحيح مسلم ج 9 ص 34

(3) صحيح مسلم ج9 ص 30

ويدعم السياق المعنى المراد، وهذا يماثل الاستخدام العجيب في القرآن الكريم إذ تنوعت الدلالات فيه مابين الماضي الحقيقي والماضي الذي يفيد الحالية والاستقبال،ومنها قوله عزوجل:"**إذا زُلزِلَت الأرضُ زِلزَالها**" الزلزلة،آية1.إضافة إلى أن معاني الأفعال الماضية هنا تشير إلى الاستسلام والخضوع والتسليم لحكم الله ومشيئته.

القسم الثاني : اللهم جملة فعلية ، فعلها مضارع

وهذا التركيب اللغوي نادر في الدعاء النبوي ، فلم يرد مثله إلا واحد ومنه قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» (1) .

وجدير بالذكر هنا أنه عني بالفعل المضارع الذي يسبق باللهم في هذا المقام . وإلا فإنه قد وردت أحاديث عن الرسول– صلى الله عليه وسلم – مبدوءة بأفعال مضارعة كما أسلفنا في باب سابق في هذا البحث تفيد الدعاء ، ولكن استثنيناها هنا لأنها لم تسبق بالمنادى(اللهم) وتندرج تحت باب الجمل الخبرية التي أفادت الدعاء، ومثلها قوله عليه السلام :

-- « **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** » (2).

-- «**أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرّجيمِ** » (3) .

--« **أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِر**» (4) .

---

(1) صحيح مسلم ج9 ص 48
(2) صحيح مسلم ج9 ص27
(3) صحيح مسلم ج8 ص 335
(4) صحيح مسلم ج7 ص 363

القسم الثالث : اللهم ،جملة فعلية ، فعلها أمر

وهو التركيب اللغوي الأكثر شيوعا في أسلوب المصطفى –عليه السلام – بعد المنادى(اللهم)،

وفعل الأمر هو الذي نطلب فيه حصول الشيء في المستقبل، ومعناه الحقيقي يكون واقعا إذا صدر من الأعلى منزلة إلى الأقل منزلة،أما إذا صدر من الأقل منزلة إلى الأعلى منزلة كان معناه الدعاء،كما هو في هذه الأدعية من العبد إلى خالقه. ورد هذا النمط في مواطن عديدة في الصحيح ، زادت على الخمسين موطنا ، ومنها قوله عليه السلام :

--«**اللهمَّ اجْعلْهُ منْهُم** » [1] .

--«**اللهُمّ ولِيَدَيهِ فاغفر**» [2] .

-- « **اللهم بَاعِدْ بَيْنِي وبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد**» [3] .

-- «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ**» [4] .

-- «**اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ**» [5]

-- «**اللهم العن لحيان** » [6] .

---

(1) صحيح مسلم ج2 ص 75
(2) صحيح مسلم ج1 ص 328
(3) صحيح مسلم ج3 ص 83
(4) صحيح مسلم ج3 ص143
(5) صحيح مسلم ج3 ص 156،مضر ولحيان قبائل صدت عن دعوة الرسول وحاربته، فدعا الله بعقابها.
(6) صحيح مسلم ج3 ص 156

-- ((اللَهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبي نُوراً وفِي بَصَري نُوراً ، وفَوْقِي نُوراً ، وتَحْتِي نُوراً ، وأَمَــامِي نُوراً ، وخَلْفِي نُوراً ، وعَظِّم لي نُوراً)) [1] .

-- «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» [2] .

-- «اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا».[3] .

--«اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ،
وَأَهلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القبر ، أو من عذاب النار » [4] .

-- «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا» [5] .

-- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ» [6] .

-- «اللهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ» [7] .

-- « اللهُمَّ بَارِكْ لَأَهْلِ المدينةِ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ» [8] .

---

(1) صحيح مسلم ج3 ص240
(2) صحيح مسلم ج3 ص 369
(3) صحيح مسلم ج4 ص4
(4) صحيح مسلم ج4 ص 45
(5) صحيح مسلم ج4 ص 145
(6) صحيح مسلم ج5 ص 43
(7) صحيح مسلم ج5 ص 114
(8) صحيح مسلم ج 5ص131

-- « اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا» [1] .

-- « اللهمّ أنْجِزني ما وَعَدتَني ، اللهُمّ آتِ ما وَعَدتني » [2] .

-- «اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ» [3] .

-- «اللهُمَّ، بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ» [4] .

-- «اللهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي» [5] .

-- «اللهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا» [6] .

-- «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» [7] .

-- «اللهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا» [8] .

--« اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [9] .

-- «اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ» [10] .

--«اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» [11]

---

(1) صحيح مسلم ج5 ص 201
(2) صحيح مسلم ج6 ص 274
(3) صحيح مسلم ج6 ص299
(4) صحيح مسلم ج7 ص 195
(5) صحيح مسلم ج7 ص209
(6) صحيح مسلم ج7 ص 305
(7) صحيح مسلم ج7 ص355
(8) صحيح مسلم ج8ص223
(9) صحيح مسلم ج8 ص 225
(10) صحيح مسلم ج8 ص227
(11) صحيح مسلم ج8 ص237

-- « اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا – يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ – وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ» [1] .

-- «اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ،اللهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ مِنَ النَّاسِ» [2] .

-- « اللهُمّ اغْفِرْ لعبدِ اللهِ بن قَيْس ذَنْبَه ، وادْخلهُ يومَ القيامةِ مدْخَلاً كَريماً » [3] .

-- «اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ» [4] .

-- « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» [5] .

- «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وعافِني وَارْزُقْنِي» [6] .

- « اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [7] .

- « اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » [8] .

- «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ

---

(1) صحيح مسلم ج8 ص 238
(2) صحيح مسلم ج8 ص 245
(3) صحيح مسلم ج8 ص244
(4) صحيح مسلم ج8 ص 259
(5) صحيح مسلم ج8 ص 328
(6) صحيح مسلم ج9 ص 17
(7) صحيح مسلم ج9 ص 15
(8) صحيح مسلم ج9 ص7

لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (1) .

- **«اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»** (2) .

-- **«قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»** (3) .

-- **«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»** . (4)

-- **« اللهُمّ اجْعَلْه أبا خَيْثَمَة »** (5) .

-- **« اللهُمَّ صلِّ على آلِ أَبي أَوْفَى »** (6) .

ونشير هنا إلى أن هناك جملا فعلية تبعت اللهم ، بيد أن فعلها مقدر لذا لم ندرجها في الأحاديث التي سبقت . ومنها قوله عليه الصلاة السلام :

-- **«اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»** (7) . وتقدير الفعل ارحم أمتي.

-- **«اللهُمَّ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»** (8) .وتقدير الفعل أختارُ الرفيق الأعلى.

---

(1) صحيح مسلم ج9 ص 34
(2) صحيح مسلم ج9 ص 35
(3) صحيح مسلم ج9 ص 37
(4) فتح الباري ج11 ص196
(5) صحيح مسلم ج9 ص 83
(6) فتح الباري ج3 ص361
(7) صحيح مسلم ج2 ص67
(8) صحيح مسلم ج8 ص 179

أنماط فعل الأمر المباشر

بالنظر إلى الأدعية السابقة، نجد أن هذا التركيب يكون الدعاء فيه بفعل الأمر المباشـــر ، وعليه يمكن الخروج بالأنماط الآتية :

1 اللهم فعل أمر، الفاعل ضمير مستتر– دائما – المفعول به اسم ظاهر، ومنه قوله عليـــه السلام :

-- « **اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ** » [1] .

--« **اللهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانَ** » [2] .

-- « **اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ**» [3] .

-- « **اللهم اهد دوسا** » [4] .

2 اللهم فعل أمر الفاعل ضمير مستتر ، المفعول به ضمير متصل ، ومنه قوله عليه السلام:

-- ((اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها)) [5] .

-- « **اللهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» [6] .

-- « **اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي** » [7]

---

(1) صحيح مسلم ج3 ص 156
(2)المصدر السابق ج3 ص156
(3) المصدر السابق ج6 ص 299
(4) المصدر السابق ج8 ص259
(5) المصدر السابق ج4 ص 4
(6) المصدر السابق ج8 ص223
(7) المصدر السابق ج9 ص37

3 اللهم فعل أمر متعد لمفعولين ، الفاعل ضمير مستتر ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم

-- « **اللهُمَّ ارزقْ آلَ محمدٍ قوتاً** » (1) .

-- « **اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي** » (2) .

-- « **اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**» (3) .

-- « **اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** " » (4) .

4 اللهم فعل أمر ، فاعل مستتر ، شبه جملة جار ومجرور – عوضا عن المفعول به – .

ومثله قوله عليه السلام :

-- «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ**» (5) .

-- ((**اللهُمَّ بَارِكْ لَأهل المدينة فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ**»(6) .

-- « **اللهُمَّ ، صَلِّ عَلى آلِ أبي أوْفى** » (7) .

---

(1) صحيح مسلم ج4 ص145

(2) المصدر السابق ج6 ص274

(3) المصدر السابق ج 5 ص201

(4) المصدر السابق ج9 ص 15

(5) المصدر السابق ج5 ص43 والحلق بإزالة الشعر ،والتقصير ببضع شعرات منه.

(6) المصدر السابق ج5 ص131 ،المد: مكيال،والمُد يقدر بأنه أربع حفنات بحفنة الرجل الوسط.

(7) المصدر السابق ج 3 ص361

5 اللهم فعل أمر ، فاعل مستتر ، المفعول به اسما موصولا .

ومثله قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي**» [1] .

---

(1) صحيح مسلم ج7 ص209

اللهم والجملة الشرطية

الجملة الشرطية

تحدث سيبويه عن أسلوب الشرط ، وسماه باب الجزاء ، وفصل فيما يجازى به من الظروف : أي ، متى ، أين ، أنى ، حيثما . ومن الأسماء : من ، وما ، أيهم ، وغيرهما إن و اذما [1] .

وقال : " زعم الخليل أنَّ إنْ هي أم حروف الجزاء ، فسألته : لم قلت ذلك ؟ فقال : من قبل أني أرى حروف الجزاء قد يتصرفن ، فيكن استفهاما ، ومنها ما يفارقه ما فلا يكون فيه الجزاء ، وهذه حال واحدة أبدا لا تفارق المجازاة "[2] . ولا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء ، ومثل الجواب بالفعل : إن تأتني آتك . وأما الجواب بالفاء فقولنا : إن تأتني فأنا صاحبك .و من أسماء الشرط المشهورة أيضا من، قال زهير بن أبي سلمى [3] :

من لا يَزلْ يسْتَحْمِلِ الناسَ نفْسَهُ ولا يُغْنِها يوماً من الدَّهرِ يُسأَمِ

وأسلوب الشرط من الأساليب الشائعة في الحديث الشريف بعامة؛ لأنَّ هذا الأسلوب يقيد الفرد ويجعله منضبطا مسؤولا عن أعماله، بيد أنه قل في الدعاء النبوي ولم يتجاوز الثلاثة أحاديث، وربما يعود هذا للتنافر بين معنى الشرط المستوجب عملا بعمل،ومعنى الدعاء الذي يستدعي حصول الشيء بلا شرط ولاجزاء.

---

(1) سيبويه ، الكتاب ج3 ، ص 56 .

(2) سيبويه ، الكتاب ج3 ، ص 63 .

(3)ديوان زهير(1988)شرح علي حسن فاعور،ط1،دارالكتب العلمية بيروت،ص:112 .وزهير بن أبي سلمى شاعر جاهلي من شعراء المعلقات . يستحمل : يلقي بحوائجه إليهم .

وردت الجملة الشرطية في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله :

- « **اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ** » [1] .

والأصل في جملة الشرط الترتيب الآتي : الأداة أولا ، ثم الفعل (فعل الشرط) ثم الجواب (جواب الشرط) .وهذا مؤدّاه عند النحاة أن أدوات الشرط وأسماءه لها الصّدارة في الجملة ، فهي في أوله لا يتقدم عليها ما تعمل فيه [2] .وردت جملة الشرط في الدّعاء النبوي ومثلها:

-- « **اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي** » [3]،

وتعد إذا الأداة الأكثر شيوعا في أسلوب الشرط في الحديث النبوي بشكل عام ،واستعمالها هنا امتداد للأسلوب النبوي الشريف، وهي أداة غير جازمة.

وفي الدُّعاء السابق يتقدم الجواب على (إذا) أداة الشرط ، وقد عد بعض النحاة هذا دليلا فقط، إذ إن ما يسبق الأداة دليل على جوابها ،ومن هؤلاء سيبويه، وابن هشام ، وابن السراج[4] وقرر قسم آخر أن ما يسبق أداة الشرط هو جوابها الفعلي و ذلك أولى ومن هؤلاء الأخفش [5] واشترط المبرد في عد السابق لأداة الشرط جوابا لها ، أن يكون الفعل(فعل الشرط) ماضيا [6] ويكون الجواب منصلحا أن يكون جوابا للشرط .

---

(1) صحيح مسلم6 ص 275

(2) المبرد،محمد بن يزيد،المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة / عالم الكتب ، بيروت ج2، ص 68

(3) صحيح مسلم ج9 ص7

(4) سيبويه ،ج2 ، ص68 .اوضح المسالك ، ج2 ، ص217. الأصول في النحو ج2 ، ص 166 .

(5)الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج2 ، ص 623. همع الهوامع ، ج4 ، ص 333.

(6)المقتضب ج 2 ، ص 68 .

والرأي الصواب والأقرب للمنطق يقول : إن الجملة التي تسبق أداة الشرط يصح أن تكون جوابا لها ، إذا استقام المعنى وحَسُن ، وما من داع للتأويل والتقدير ، وفي الحديث الذي ذكرناه فإن جملة (توفني) تصلح تماما أن تكون جوابا لأداة الشرط (إذا كانت الوفاة خيرا لي توفني) والله_ تعالى _أعلم . وعند اللغويين لايكون الحذف إلا لسببين :الأول للاختصار والإيجاز والثاني لأن حذف الجواب أبلغ في الدلالة على أنه لا يحيط به وصف أوحصر.

وفي الحديث الثاني :

-- « **اللهمّ إنْ شئتَ لم تُعْبد اليومَ** » [1] .

ففيه مسألة ، إذ إن النحاة وعلى رأسهم سيبويه ، جعلوا تمام جملة الجزاء وصحتها في كون جواب الشرط فعلا ،فجزاء الفعل بالفعل، فإن لم يكن ، يجب الاقتران بالفاء [2] ،وفعل الشرط(شئت) وهو في محل جزم،وجواب الشرط(لم تعبد)فعل مضارع مجزوم، ومثله قوله عليه السلام :

-- « **اللهمّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَد فِي الْأَرْضِ** » [3] .

(تهلك) فعل الشرط مجزوم،(لاتعبد) جملة فعلية في محل جزم جواب الشرط.

---

(1)صحيح مسلم ج6 ص 275

(2)الكتاب لسيبويه ج2 ، ص 68 .

(3) صحيح مسلم ج6 ص275

نظرة في نحو الدعاء النبوي

بعد عرض هذا الفصل النحوي، وتحليل جملة الدعاء النبوي لتتبع أنماطها المتنوعة التي واءمت أنماط القرآن الكريم واللسان العربي، نخلص إلى أن نحو الحديث الشريف بعامة له خصوصية ، ترفعه وتزكيه على التهم التي تلاحقه من رواية بالمعنى ، وإهمال للفظ .

ومن خلال التأمل في الأحاديث التي تختص بأسلوب الدعاء دون غيره ، تكون لدى الباحثة شيء من اليقين بأن هذه الأحاديث لا يمكن إلا أن تكون بلفظها ومعناها للحبيب المصطفى عليه السلام ، فقد لوحظ أن الدعاء النبوي – رغم أنه واحد من الأساليب اللغوية في الحديث – ممثل لكل أنماط الجمل في العربية من خبرية (اسمية وفعلية) وشرطية وطلبية .

وشرح البحث أنماط التراكيب اللغوية الواردة والمتنوعة ، فتبينت فيها براعته وفصاحته عليه الصلاة والسلام ، إذ تحدث بالشائع من القول الفصيح .ويستطيع تلمس القدرة اللغوية والنحوية للنبي الأمين كل من يقرأ حديث رسول الله حديثا فحديثا ،ودعاء فدعاء ، ليخرج بالملاحظات الآتية :

1- الدعاء النبوي في معظمه ،ارتبط بالمنادى اللهم يسبق الجملة ، وهذا يشير إلى أن كلمة (اللهم) تحمل قيمة عليا ، وقدسية تميزها عن غيرها ، إنَّ كلمة اللهمَّ هي الأقرب إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم – لها خصوصية لم يجدها الرسول _عليه السلام _ في غيرها حتى جعلها في أول دعائه ، ولعلها كلمة تجتمع فيها كل معاني الربوبية ، والكمال ، والقوة والجلال .

2- استطاعَ الدعاء النبوي أن يخرج بالدعاء من الجمل الإنشائية إلى الجمل الخبرية ، اسمية كانت أو فعلية ، لتفيد معنى الطلب والسؤال ، فتنوعت جمل الدعاء بـذلك ، كقولـه عليـه السلام:

- « **قاتل الله اليهود والنصارى** » (1) .

وهذا مؤشر على فصاحة الرسول وبلاغته ، وبيانه ، إذ يعد هذا نمطا بليغا .

3- تنوعت أنماط الجمل والتراكيب بعد المنادى (اللهمَّ) ، فمن اسمية إلى فعلية ، إلى شـبه جملة ، إلى جملة شرطية ، وهذا يثري الدعاء النبوي – لغته وتراكيبه – .

4- تنوعت ألفاظ الدعاء في الدعاء النبوي ، فمنها : اللهم ، ويا رب ، ربنا ، مع فعل الأمـر المباشر الذي يدل على الطلب مستقبلا، واسم فعل الأمر ، والجملة الخبرية .

5- كان الدعاء باللهمّ هو الغالب في أدعية الرسول ، حيث دعا عليه السلام باللهم زهاء (113) مئة وثلاث عشرة مرة في صحيح مسلم ، وهي نسبة عالية لأسلوب الدعاء ، مقارنة بالأساليب اللغوية الأخرى في الحديث .

6- اقتران أسلوب الدعاء بالتوكيد اللفظي في بعض الأدعية ومنها قوله عليه السلام :

-- « **اللهم أنتم من أحب الناس إلي ، اللهم أنتم من أحب الناس إلي** » (2) .

-- « **اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش** » (3) .

وهذا مؤشر على الرواية باللفظ ،فالرواية بالمعنى لا تحفل بتكرار اللفظ.

---

(1) صحيح مسلم ج3 ص11
(2) صحيح مسلم ج8 ص251
(3) صحيح مسلم ج 6 ص330

7- النداء باللهم ، بحذف أداة النداء ، وكذلك ربنا ، ورب . كقوله عليه السلام :

- « **اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ...** »[1]

8- شيوع التقديم والتأخير بعد اللهم ، فتقدم الخبر على المبتدأ في أكثر من موضع في الدعاء النبوي،مثال ذلك قوله عليه السلام : - « **اللهم ربنا ، لك الحمد ،ملء السموات والأرض**»[2]

9- الوضوح في اللفظ والدلالة ، وهذا مبرر ، فالدعاء نمط يعلمه النبي عليه السلام لصحبه، ومن بعده يدعون به ربهم ، فينبغي له الوضوح . ولا يجوز أن يكون غامضا يحتاج لإعمال العقل وكد الذهن لفهمه.

10 – ورود مظهر الحذف في الدعاء النبوي ، وذلك في قوله عليه السلام :

-- « **اللهم أمتي ، أمتي** » [3] . يقصد ارحم أمتي واغفر لها .

-- « **اللهم الرفيق الأعلى** » [4] . يقصد أختار الرفيق الأعلى .

11- تمتاز جمل الدعاء النبوي بعامة بالقصر والإيجاز ، فالجمل بسيطة وليست مركبة ،إلا ما ندر ، ومنه قوله عليه السلام :

-- « **اللهم اهدني و سددني** » [5] .

-- « **اللهم إني أسألك الهدى والسداد** » [6] .

---

(1) صحيح مسلم ج9 ص30
(2) صحيح مسلم ج 9 ص 37
(3) صحيح مسلم ج2 ص363
(4) صحيح مسلم ج 2 ص67
(5) صحيح مسلم ج 8 ص 179
(6) صحيح مسلم ج 9 ص 37

12- تنقسم جمل الدعاء الشريف ، في فواصل متساوية ، سيحسن القول والحديث عنها في التحليل البلاغي للدعاء النبوي .

13 – عمق المعاني الواردة في الدعاء النبوي وشموليتها لكافة مناحي الحياة، من مغفرة وحفظ ، وهدى وسداد ، ووقاية من النار والفتن ، وعفو عن الذنوب وإصلاح في الدين وغيرها .

هذا بعض مما استطاع البحث الخلاص إليه في هذا الفصل ، إذ إن بلاغة النحو النبوي عالم واسع يطلب من يغوص فيه ليخرج باللآ لئ . وليس خاتمة نختم بها أجمل من قول أبي حيان التوحيدي ، مشيرا إلى حديث رسول الله وسنته :

"....فإنها السبيل الواضح ، والنجم اللائح ، والقائد الناصح ، والعلم المنصوب ، والأمم المقصود والغاية في البيان ، والنهاية في البرهان "[1] .

---

(1) التوحيدي، أبو حيان (1964)البصائر والذخائر ، ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس ، ، مجلد واحد ص7 .

الفصل الخامس

التحليل البلاغي للدعاء النبوي الشريف

- الباب الأول: دراسة في تركيب الجملة ويضم:

* التقديم

* التوكيد

* التعريف

* دلالات المشتقات والأفعال

* أسلوب القصر

- الباب الثاني: دراسة تركيب الجمل ويشمل:

- علاقات الجمل

- ترتيب الجمل

- الإيجاز والإطناب

-الباب الثالث: فصلة في البيان والبديع في الدعاء النبوي

إن المتأمل لدعاء الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم ، ليلاحظ الشمولية التي تميز بها هذا الدعاء ، فلم يقتصر على المطالب الدنيوية ، بل تعداها إلى الأخروية . ويلاحظ مدى تأثر الدعاء النبوي بالدعاء في القرآن الكريم. وقد احتذى الرسول عليه السلام في دعائه المشهور:

--« **اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ».

الآية القرآنية في سورة البقرة ، في قوله تعالى :

﴿ ومِنهم من يقولُ ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ حَسَنةً وقِنا عذابَ النَّارِ ﴾

وهذا يشير إلى أن البلاغة المحمدية بعض من البلاغة القرآنية وفصاحتها وأنَّ هذا الدعاء لا ينطلق من شخص عادي ، بل هو شخص لا ينطق عن الهوى.، أدبه ربه فأحسن تأديبه . واختلف العلماء في تفسير معنى الحسنة ، وما الحسنة في الدنيا ، وما الحسنة في الآخرة ؟

ذكر الطبري [1] (ت 310 هـ) أن من المعاني التي فسرت بها الحسنة في الدنيا : الرزق ، العلم والمال . أما حسنة الآخرة فهي الجنة .وذكر أن قوما مؤمنين بالله ممن حجوا بيته سألوا الله الحسنة في الدنيا وقد تجمع العافية في الجسم والمعاش والرزق والعلم والعبادة، وأما حسنة الآخرة فهي ولاشك الجنة،وتأويل الطبري هذا جاء لأن الله لم يخصص هذه الحسنة ولم يحددها بل جاءت لتدل على عموم،فتكون أكثر تعبيرا عما تحمله من معان واسعة وشاملة،يحسن وقعها عند

---

(1) مؤرخ ومفسر ولد في طبرستان ، صاحب كتاب جامع البيان في تفسير القران .

المرء، ويميل لها ويهنأعيشه بتحقيقها ؛ أوليس من حُرم منها حُرِم كلّ حسنة آنذاك [1] .

وجاءت أدعية الرسول شاملة لكل نواحي الحياة صالحة لكل زمان ومكان ، وكانت مضامينها طلب الرحمة والمغفرة والرزق والصحة والنصر و الهداية ، والسلامة والسداد ، والاستعاذة من المكروهات كالكسل والهرم والجبن والبخل وشماتة الأعداء والجوع والعجز وغيرها .

وعلم النبي الأمين، الرحيم بأمته قومَهُ كيف يدعون ، وحثهم على الدعاء لإخوانهم في المشهد والمغيب ، وبين لهم أن دعوة المرء لأخيه في ظهر الغيب مستجابة [2] .

وسار الصحابة على نهجه ، يدعون ليلا ونهارا ، سجَّدا وقياما ، وعلى المنابر ، وفي ساحات الوغى ، يلهجون بأدعيته المأثورة .

وكان لدعائه الصادق وعاطفته الحارة تجاه خالقه وتجاه أمته عظيم الأثر في بيانه– عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – فظل دعاؤه عليه الصلاة والسلام حيا يدعى به في كل مقام ، متوشحا بسمات بلاغية خاصة به هو ، يقول الأستاذ صادق الرافعي في كتابه إعجاز القران والبلاغة النبوية :

(ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت إلا توفيقا من الله وتوقيفا ، إذ بعثه للعرب ، وهم قوم يقادون في ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة .... فكان صلى الله عليه وسلم يعطي كل ذلك حقه ، كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها ، وتبادره بحقائقها ، فيخاطب

---

(1) الطبري أبوجعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القران) دار الفكر / ط1988 / ج2 ، ص 300 .

(2) انظر صحيح مسلم ج 9 ص43

كل قوم بلحنهم .... ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابا ، وأسدهم لفظا ، وأبينهم عبارة) [1] .

ويذكر القاضي عياض صاحب الشفا ، بيان الرسول عليه الصلاة والسلام قائلا :

(وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول ، فقد كان – عليه السلام – من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل ، سلامة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع) [2] .

هذا هو رسولنا الكريم ، وهذا منطقه وبيانه ، الذي كثيرا ما تتوافق أساليبه من أساليب القرآن الكريم، فما من لفظ إلا وواءم معناه، وما من تأخير أو تقديم إلا لغاية, فكل كلمة بحساب يحفظ لها مكانتها ويبرز معناها، وهذا كله يشير إلى البلاغة النبوية الناصعة التي ستبحثها الدراسة في هذا الفصل إن شاء الله.

---

(1) مصطفى صادق ،الرافعي،(2003) اعجازالقران والبلاغة النبوية ،دار الكتب العلمية ، بيروت ط2 ، / ص 196 .

(2) عياض ،القاضي، كتاب الشفاء ، مصطفى البابي الحلبي . ج1 ، ص 47

الباب الأول : تركيب الجملة

أولا : التقديم

التقديم هو أسلوب شائع يشكل القسم الأكبر في المباحث البلاغية لكثرته وتنوع صوره ، كتقديم حرف على حرف ، أو كلمة على كلمة ، أو جملة على جملة ، وأحيانا بعض الفقر على غيرها . وتحاول الدراسة أن ترصد وتدرس ما حصل من تقديم أو تأخير في الدعاء النبوي ، لإبراز لطائفه وغاياته .

يقول عبد القاهر الجرجاني في التقديم : " هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ... ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قُدِّم فيه شيء ، وحوِّل اللفظ من مكان لمكان "[1] .فإذا كان الإعجاب بالتقديم في الشعر ، فما بالنا في كلام أفصح العرب نبيهم وهاديهم إلى الرشاد ؟ !

اهتم البلاغيون بالتقديم في باب (الإسناد) حيث المسند إليه والمسند ، وعنوا بدراسة تقديم المسند ، والفائدة المتحصلة بذلك من حصر ، كقولنا : الحمد لله ، ولله الحمد . وعنوا أيضا بتقديم المعمولات على العامل ، كتقديم المفعول به على الفعل ، بيد أنهم لم يعنوا بتقديم مفردة على مفردة ، بالنظر إلى المعنى المتضمن إلا ما وجدناه من جهود قليلة لعلماء أجلاء ،كالزركشي[2] في كتابه البرهان في علوم القرآن ، والسيوطي في كتاب الإتقان في علوم القرآن إذ بحث أولئك العلماء في أسباب التقديم ، فوجدها الزركشي تناهز العشرين سببا [3]

---

(1) عبد القاهر ،الجرجاني(1992)،دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني . القاهرة ، ط3 ، ص 106 .

(2)هو محمد بن نصار بن عبدالله الزركشي بدر الدين أبو عبدالله

(745 هـ -794 هـ)عالم بالفقه والأصول .

(3) البرهان في علوم القران ج3 ، ص 238 -276

ولعل أهم هذه الأسباب وأقواها هو إرادة المتكلم وحده إذ إن المقدم في الجنـــان مقـــدم علـــى اللسان ، وعليه جعل السهيلي أسباب تقدم المعاني بخمسة أشياء : إما الزمان ، وإما الطبـــع ، وإما الرتبة ، وإما السبب ، وإما الفضل [3] . ولعل هذا الرأي يلتقي مع آراء بعـــض النحـــاة حول العامل في الجملة ؛إذ رأى بعضهم أن العامل في الرفع أو الجر أو النصب هو المـــتكلم نفسه, فهو الذي أراد لكلمة ما أن تكون منصوبة فنصبها، فلو قلنا:

- الشمسُ مشرقةٌ.

رفعناها على أنها مبتدأ .

و كان بالإمكان إذ وددنا نصبها أن نقول:

- إنَّ الشمسَ مشرقةً.

فما يكون في ضمير المتكلم أهم وأولى، هو الذي يقدم في سبيكته اللغوية ثم يبتدر بـــه علـــى اللسان . وألفاظ الدعاء الشريف كغيرها ، ومعانيها تتقدم وتتأخر وفقا للأهمية والحاجة فـــي نفس المتكلم .

---

(3) السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن، نتائج الفكر ، تحقيق د .محمد البنا ، دار الرياض ص267 .

أولا :تقديم مفردة على مفردة

ويلحظ فيها تقديم معنى على معنى ، ومن ذلك تقديم الإطعام على السقاية في دعائه عليه السلام ومنه قوله :

- «**اللهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي**». [1]

- «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**» [2]

وهذا لبيان أهمية الإطعام ودوره في الحفاظ على الكائن الحي ، واستمراريته في الحياة ، يستطيع الإنسان الامتناع عن الشراب لأيام قبل أن ينهار جسده ،ولكن لن يصبر أبدا على الطعام الذي هو مصدر حرارته وبقائه، ومهما طالت مدة احتماله فالعلة حاصلة كنقص الفيتامينات والمعادن وغيرها من المواد اللازمة لبناء الجسد ،ولن يسد النقص حال الأكل على العكس من الشرب ،كما أن الماء سهل يسير الحصول عليه ،بينما ينبغي لتأتِّي الطعام بذلُ المال والمشقة ، ومن الممكن أن نحصل على الماء من الطعام ، فجعله في الأولويات وقدمه على الشراب وغيره ، كما قدم الطعام والشراب على الكفاية والإيواء ،فالبقاء حيا أوّل ما يؤرق الإنسان ويشغله ،فإذا ثبت ذلك تعداه للتفكير في المسكن والمأوى .وفي القرآن تقدم الأكل على الشراب ،في قوله تعالى:"وكُلوا واشْربُوا ولا تُسرِفوا"الأعراف ،آية 31.

ومنه أيضا تقديم التنقية على الغسيل ، في قوله عليه السلام :

- « **اللهمَّ نقِّني مِنْ خَطاياىَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبَيضُ مِن الدَّنَسِ ، اللهُمَّ اغْسِلني من خَطاياي بالثَّلجِ والماءِ والبَردِ** » [3]

---

(1) صحيح مسلم ج 7 ص209

(2) صحيح مسلم ج 9 ص 32

(3) صحيح مسلم ج 9 ص25

لقد قدم عليه السلام التنقية على الغسيل ، وجعلها مرحلة هيأ فيها العبد نفسه للرجوع عن ذنوبه وخطاياه ، فكأنما يخلصه الله شيئا فشيئا من تلك الخطايا فالتنقية_ والله أعلم _ محو للذنب وإزالة، ثم يمطره بماء يغسل ما تبقى منها ، كتلك الذنوب الصغيرة وبقايا الآثام العالقة ،والغسيل هنا لما تبقى من آثار الذنوب ، وهذا الأصل في إزالة الشيء وغسله.

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ**»[1].

فقدّم الخبث وأخّر الخبائث . والخبث كما ذكر مسلم والبخاري :الشّر كله، والخبائث الأفعال الذميمة غير المحمودة، وقيل إنهما ذكران الجن وإناثهم. فإذا كان الخبث الأصل في الشر ومنبعه ومصدره كانت الاستعاذة منه أولى أن تُقدَّم،وحتى في التفسير الثاني الذكر أصل للأنثى مثلما كان آدم أصلاً لحواء ،والله أعلم.

ومنه تقديم القلب على اللسان والسمع والبصر ، حيث قال عليه الصلاة والسلام :

-- «**اللهُمَّ اجعلْ لي في قَلْبي نُوراً ، وفي لِسَاني نُوراً ، واجعلْ لي في سَمْعِي نُوراً واجْعلْ لي في بَصَري نُوراً** » [1] .

وتقديم القلب على باقي الجوارح ، تقديم له غايته وأسراره ، إذ إن القلب هو مجمع الضغائن ، وهو عضو الهداية واليقين والخير ، ولما كان هذا الدعاء مرتبطا بوقت الصباح ، يدعو به الإنسان لحين استيقاظه ومباشرة يومه ، كان طلب النور في المداخل كلها وأولها القلب ، أبلغ

---

(1) صحيح مسلم ج ج2 ص260

(2) صحيح مسلم ج 3 ص 240

وأقوى ، فإذا استنار القلب وشع بالنور والإيمان ، شعشع النور إلى الجسد ،واستحال على اللسان من أثر ذلك وتعداه إلى الأمام والخلف ، وهكذا هو المؤمن في كل أحواله خير ، ولنفسه وغيره خير.وفي تقديم السمع على البصر حكمة مقصودة ، فأول ما يتكون من حواس الجنين السمع، وأول حاسة تبدأبالعمل قبل الولادة السمع ،فالجنين يتمكن من سماع ضربات قلب أمه وحركة أمعائها في الشهر الخامس ،بينما يتأخر البصرلما بعد الولادة[1] .والسمع الحاسة الوحيدة التي لاتتوقف بنوم الإنسان ،فما الذي يُوقظ من غطَّ في سبات عميق سوى السمع! فسبحان الله ! وهذا يؤكده قوله جل وعلا:" فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا" الكهف،آية 11،إذ لما تعطل سمع أولئك الفتية تمكنوا من النوم مئات السنين دون يقظة.وفي القرآن الكريم تقدم السمع على البصر في كل موطن وردا فيه بلا استثناء ، ومن ذلك قوله تعالى: " **اللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** "النحل،آية78 .

ومن الدقيق في تعبير الرسول –عليه الصلاة والسلام – تقديم الخلف على الأمام :

-« **اجْعلْ مِن خَلْفِي نُوراً ، ومِن أَمَامِي نُوراً**».

وذلك أن الأمام واضح للعين بيِّن ، يطالعه المرء ، ويدرك مخاطره ، أما الخلف فلا يُرى ، ومنه تخشى الأخطار والشرور ، فكان أولى طلب حفظ النفس من خلفها قبل أمامها.وفي هذا الدعاء تقسيم جميل ، وقد سمَّى بعض العلماء حسن الترتيب هذا بالموضحة ، وجعلوا أكثرها في

---

(1)الموقع الإلكتروني للهيئة العلمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة،المجلة ،العدد التاسع مقالة للأستاذ الدكتور صادق الهلالي.

الشعر، وقالوا عنها :(الأبيات الموضحة هي ما اتفق أجزاؤها ، وتعاضدت وكثرت فقرها ، واعتدلت فصولها، فهي كالخيل الموضحة ، والفصول المجزعة والبرود المحبرة) [1] .

ومن تقديم المفردات بحسب الأهمية ما ورد في قوله عليه السلام :

- « **اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** » [2] .

فتقديم الدنيا على الآخرة ، أو حسنة الدنيا على الآخرة ، فيه دقة وبيان ، وقصد مباشر إلى الغاية والهدف ، فلا شك أن المؤمن يخشى الآخرة مما عمل وقدم ، ويعمل في دنياه لطلب النجاة في الآخرة ، إلا أن الدنيا هي دار العمل ، والآخرة دار الجزاء ، والدنيا دار الحي يتعلق فيها ويصارع رغباته ، وشهواته ، ويمضي مصارعا نفسه ، وحافظا لها حتى يصل إلى دار الجزاء ، فلا عجب إذن أن يقدمها النبي الكريم لطلب حسنتها وهي العمل الصالح والوقاية من فتنها وشرورها ، لينجو في الآخرة فينال حسنتها .

كما أن حسنة الدنيا هي الخطوة الأساس والمرحلة الأولى لنيل حسنة الآخرة ، والدنيا أيضا هي أول وجود الإنسان ، والآخرة آخر مطافه ووجوده ،فهي دار الخلود والبقاء. فمسألة التقديم تحمل البعد الزمني الحقيقي كما نلاحظ . ومثل هذا تقديمه الحياة على الموت ، بفعل الترتيب الزمني بقوله :

- «**اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ**» [3] .

---

(1) طبانه، بدوي ،معجم البلاغة العربية ، دار المنارة للنشر والتوزيع ،جدة ، ص 728

(2) صحيح مسلم /ج 9 ص15

(3) صحيح مسلم ج 9 ص32

ثانيا : تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض

ومنه تقديم المتعلق (الجار والمجرور) على الفعل ، ومثال ذلك قوله عليه الصلاة والسلام:

-- «**اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ**» [2] .

وهذا التقديم يحمل معنى الحصر والتقييد والقصر ، فليس الحياة والموت الا باسم الله وإرادته ومشيئته . ومنه أيضا قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ**» [3] .

فقصر الحمد على الله عز وجل ، ينفرد به وبربوبيته ، والقصر هنا حقيقي ، تحصل من قصر الصفة على الموصوف [4] فلا ينقطع ولا يتوقف . ومنه قوله عليه السلام :

-« **وليَديْه فَاغْفِر** » [5] . فقدم اليدين لما ترتكبانه وتقدمانه من معاص وآثام . ومنه أيضا قوله عليه السلام :

- « **اللهمَّ لكَ أسْلَمْتُ ، وبكَ آمَنتُ ، وعليكَ توكّلْتُ ، وإليكَ أَنَبْتُ ، وبكَ خاصَمْتُ ، اللهمَّ إنِّي أعوذُ بعزَّتِكَ،لا إلهَ إلا أنتَ ،أنْ تُضلِنَي ،أنتَ الحيُّ الذي لا يموتُ والجنُ والإنسُ يموتون** » [6]

فتقديم الجار والمجرور على الفعل في أكثر من جملة إنما هو للأهمية ، فقد قصر كل

---

(2) صحيح مسلم ج 9 ، ص 32 .

(3) صحيح مسلم ج 2 ، ص 363 .

(4) الهاشمي ،أحمد (2006)جواهر البلاغة ، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع / القاهرة / ص161

(5) صحيح مسلم ج 1 ص328

(6) صحيح مسلم ج 3 ، ص 34 .

التسليم والإيمان والتوكل على الله .ومن أشكال التقديم في الدعاء النبوي تقديم الجار والمجرور على (الفعل و المفعول به) ويكون غرض القصر فيها جوهريا متعلقا بحالة الجملة ومعناها، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :

- « **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَــا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** » [1]

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص 31 .

ثانيا : التوكيد في الدعاء ودلالاته البلاغية

الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته ، ويراد بالصدق مطابقته للواقع ، والكذب عدم المطابقة [1] . وللخبر أضرب ثلاثة : ضرب ابتدائي ، يلقى فيه الخبر خاليا من المؤكدات ، وضرب طلبي يأتي فيه الخبر بمؤكد واحد ، والضرب الأخير إنكاري ، يكون الخبر فيه بمؤكدين فأكثر [2] .

والمؤكدات تتفاوت بتفاوت درجة الإنكار أو التصديق [3] ، وكلما ازداد المخاطب إنكارا ازدادت المؤكدات ، انظر قوله تعالى في قصة أصحاب القرية :

﴿ **قالُوا ما أَنْتم إلّا بَشَرٌ مِثلنا ومَا أَنْزَلَ الرحمنُ من شَيْءٍ إنْ أنتُم إلّا تَكْذِبون * قالُوا ربُّنا يَعْلَمُ إنّا إلَيكُم لْمرسَلُون** ﴾ يس آية 16/15 .

فتدرج الحوار ما بين الإخبار وتردد السامع في قبول الخبر ، ثم إنكاره الخبركليا في ردهم : ﴿ .. ومَا أَنْزَلَ الرحمنُ من شَيْءٍ ﴾ ليلقى الخبر بمؤكدين لدفع الشك وتأكيد الخبر : ﴿ . إنّا إلَيكُم لْمرسَلُون ﴾ والتوكيد هنا بإنَّ واللام ،وهي لام الابتداء .

إذن التوكيد يكون بالنظر إلى حال المخاطب (المتلقي) ، وإذا تتبعنا الدعاء النبوي وجدنا أن أسلوب التوكيد يعد الأكثر شيوعا ، إذ ورد ما يزيد على العشرين دعاء في صحيح مسلم تحتوي مؤكدات بلاغية ، وكانت أداة التوكيد في الأغلب (إنَّ) .وإذا كان الضرب الخبري كما أسلفنا يتبع حالة المتلقي ، والمخاطب في الدعاء الله –عز وجل– وليس بموضع أن نجعل الله

---

(1) جواهر البلاغة ، ص 51 .

(2) عتيق ، عبد العزيز،في البلاغة العربية علم المعاني والبديع ، دار النهضة العربية ، بيروت .

(3) أدوات التوكيد في الخبر كثيرة ، منها إن ، لام الابتداء ، إنما ، السين ، قد ، ضمير الفصل ، القسم ، نونا التوكيد ، أحرف الزيادة ، وأحرف التنبيه .

جل وعلا منكرا ، فليس الله بمنكر أو جاهل الخبر أو متردد بقبوله ، سبحانه تنزه عن ذلك وعلا علوا كبيرا ، فهذا يقودنا إلى أن الخبر في أحوال مخصوصة ، ولا سيما حال التوجه إلى الله تعالى ، واللجوء إليه والتوسل له ، يكون بالنظر إلى حال المتكلم ، وحالته النفسية ، ومطامعه في عفو ربه ومغفرته ، وهذا مقام أعلى من المقام السابق ، وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله واصفا إن:

(واعلم أنها قد تدخل للدلالة على أن الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون ، وذلك قولك للشيء هو بمرأى من المخاطب ومسمع ، أنه كان من الأمر ما ترى ، وكان مني إلى فلان إحسان ومعروف ، ثم إنه جعل جزائي ما رأيت ، فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت ، وتبين الخطأ الذي توهمت ، ومنه قوله عز وجل على لسان نوح :

﴿ **قالَ ربِّ إنَّ قَوْمِي كَذَّبون** ﴾الشعراء،آية 117. فالله يعلم حقيقة تكذيب قومه له،وما من حاجة لسوق المؤكدات لإقناع المخاطب،إنما سوقها لإقرار ما يدور في نفسه من إحساس بالألم والهوان على القوم. وأشار إلى إلقاء الخبر مطابقا لحال المتكلم غير واحد من المتقدمين كالزمخشري والطيبي ، ورأوا بأن تأويل التوكيد في أحوال مخصوصة يكون راجعا إلى المتكلم ، في إظهار نشاطه وارتياحه بأن السامع يتلقاه بالقبول ويصغي إليه [1] .ويحرص على إذاعة ما في قرارته ، ويقرره في النفوس أكيدة كما يحسها .

---

(1) زموط ،عبد الستار (1992) كتاب من سمات التراكيب ط1، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة .

من أمثلة الدعاء النبوي الخبري المؤكد نورد هذه النماذج مع محاولة بيان الأغراض من التوكيد ، كثر التوكيد بإنَّ مقرونة مع الاستعاذة ، ومنه قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**» (1) .

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ،** (2) .

-- «**اللهُمَّ إنّي أّعُوذُ بكَ من العَجْزِ والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ ، وعَذَابِ الْقَبرِ** » (3) .

-- «**اللهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ**» (4) .

-- «**اللهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بكَ منْ شرِّ ما عَمِلتُ ومِن شَرِّ ما لمْ أَعْمَل**» (5) .

والتوكيد هنا جاء لإظهار اليقين الكامل ، بأن الاستعاذة لا تكون إلا بالله ، والحماية والوقاية لا تتحقق إلا بيقين صاحبها بالله صاحب القدرة والقوة ، وهو يثبت لله القدرة والاستطاعة على أن يعيذ من استعاذ به ، ويجير من استجار به . فهو سبحانه بيده القدرة التامة ، والداعي يشعر بقوة هذه القدرة وحقيقتها، وكما هي مؤكدة عنده يعكسها في دعائه وجملته . واقترنت الاستعاذة بالأمور المهلكة كعذاب القبر والكسل والجبن والنار وشر ما مضى وماهو آت،وهي ما يطلب

---

(1) صحيح مسلم ج 3 ، ص 75 .
(2) صحيح مسلم ج 3 ، ص 76 .
(3) صحيح مسلم ج 9 ، ص 26 .
(4) صحيح مسلم ج 9 ، ص 25 .
(5) صحيح مسلم ج9، ص33

كل ذي لب الوقاية منها فتثبت في جنانه وفكره،فتحسن معها الاستعاذة كما يحسن فيها التوكيد للتثبيت والإقرار بأنها ملحة في ضمير المتكلم(الداعي).

وفي قوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**» (1) .

- «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**» (2) .

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**» (3) .

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيه**» (4) .

كانت المضامين طلب الاستعانة والنصرة من الله ، وإظهار الضعف والحاجة إلى الله عز وجل ، ومنه أيضا قوله عليه السلام :

-« **اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ** » (5) .

---

(1) صحيح مسلم ج 3 ، ص 194 .
(2) صحيح مسلم ج 3 ، ص 374 .
(3) صحيح مسلم ج 6 ، ص 185 .
(4) صحيح مسلم ج 6 ، ص 158 .
(5) صحيح مسلم ج 9 ، ص 29 .

وفي هذا الدعاء إلحاح على الله عجيب، وتوكّل عليه، وتسليم وانقياد إليه منقطع النظير . مما سبق نستطيع القول إن الدعاء النبوي المؤكد ، يعتد فيه بالنظر إلى مقام المخاطب ، لإشـــعار المتكلم أنه قد أظهر حقيقة ما في نفسه ، مما يقوي عزمه في الـــدعاء ، وكانـــت (إنّ) أكثـــر المؤكدات ورودا بل تكاد تكون الوحيدة .

ثالثا التعريف والتنكير

إن باب التنكير والتعريف من أكثر الأبواب البلاغية ثراء ، وهذا بسبب كثـــرة أنمـــاط التعريف وصوره، وما تضفيه من تلوين وتجميل للعبارة ، ولقد ورد التعريف والتنكيـــر فـــي معظم الدعاء النبوي ، ولا يمكن للبحث أن يتتبع المعارف كلها لكثرتها ، ولكنـــه ســـيعرض نماذج تمثلها ، كما سيعرض للنكرات لقلتها وندرتها في دعائه عليه السلام ، وسيدرج النماذج التي تمكننا من إدراك المعاني والغايات المرادة من التعريف والتنكير .

والمعرفة: مادل على شيء بعينه[1]، وأنواع المعرفة في العربية متعددة فهي تشمل الأسماء المحلاة بأل والضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة والأعلام ،والأســـماء المـــضافة للضمائر أوالاسم الظاهر،والنكرة المقصودة بالنداء كقولنا: ياراكباً فرساً ترجل.

اتخذ التعريف في الدعاء الشريف أنماطا مختلفة ومنها :

* **التعريف بالضمير** ،ومنه ضمير المخاطب (أنت) ومن ذلك قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ** » [2] .

-- «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» [3] .

-- «**اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ** » [4] .

---

(1)الزمخشري ،أبو القاسم(2006)المفصل في علم العربية،ط1،المكتبة العصرية،لبنان ،بيروت،ص172.

(2) صحيح مسلم ج 8 ، ص 251 .

(3) صحيح مسلم ج 4 ، ص و414 وج 3 ص 78

(4) صحيح مسلم ج 5 ، ص 93 .

كما يكثر الدعاء عنده عليه الصلاة والسلام بضمير المتكلم (الياء) وهذا بـــدهيٌّ ، لأن الداعي يخص نفسه بالدعاء ملتمسا الرحمة والمغفرة ، والحفظ من العـــذاب ، وتحقيـــق الرجاء وينطلق من ذلك ليدعو بلسان حال الجماعة فيما بعد . وزادت الأدعية بضمير المتكلم على الثلاثين دعاء ، وليس هذا النمط من الأدعية بمستغرب ولا مـــستهجن ، إذ إن الـــدعاء للنفس هو من باب أولى لاستقامتها ، وردعها وإبعادها عن الآثام والذنوب التـــي هـــي أول الفتن.

وقد ورد هذا النمط في القرآن الكريم ،وكثر الدعاء بضمير المتكلم ، علـــى اخـــتلاف أصناف الدعاة ، سواء أكانوا أنبياء أم صالحين ، أم كفرة ، أم ملائكة ،أوحتى علـــى لـــسان إبليس

ومثل هذا قوله جل وعلا :

﴿ **رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا**﴾

سورة الإسراء،آية 80. وقوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»[1] .

-- ((**اللهُمَّ باعِدْ بَيْنِي وَبيْنَ خَطَايايَ**)) [2] .

وهذا يشعر بانقطاع الفرد لمناجاة ربه ، والابتهال والتوسل إليه . ويلي هذا النمط من الضمائر الدعاء بضمير المتكلم للجماعة (نا الدالة على الفاعلين) وهذا يشعر بالجماعـــة ، ولـــسان الحال الواحد والقلوب المتوحدة على الانقياد والتوجه لله وحده ، بحيث دمج الرســـول عليـــه السلام ذاته

---

(1) صحيح مسلم ج 2 ، ص 67 .

(2) صحيح مسلم ج 3 ، ص 83

مع الجماعة، فنطق باسمهم ، وتنصهر الذوات جميعا، لتحقيق شروط الدعاء وتحقق الإجابة[1]

ومثله قوله عليه الصلاة والسلام :

-- «**اللهُمَّ حَوْلَنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللهُمَّ عَلَى الْآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»[2]

-- «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» .[3] .

--« **اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» [4]

كما ورد في الدعاء النبوي الدعاء بضمير الغائب كقوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ**»[5] .

-- «**اللهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» [6] .

-- «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[7] .

ولما كان أعرف أنواع المضمر ضمير المتكلم،ثم المخاطب ثم الغائب، وجدنا رسول الله في جل أدعيته يدعو بضمير المتكلم إذ شكلت الأدعية التي تمثل هذا النمط الثلث من مجموع الأدعية التي ورد الدعاء فيها بالضمائر،يليها تكرارا الدعاء بضمير المخاطب ثم الدعاء بضمير الغائب وهو النمط الأقل ورودا . هذا يتناسب تماما مع مراتب الضمائر في العربية و يدل على سلامة الذوق اللغوي عند المصطفى عليه السلام.

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص226

(2) صحيح مسلم ج 3 ص 369

(3) صحيح مسلم ج 3 ص 369

(4) صحيح مسلم ج 9 ص 15

(5) صحيح مسلم ج 9 ص 22

(6) صحيح مسلم ج 8 ص 223

(7) صحيح مسلم ج 8 ص 227

***التعريف بالإضافة...**

وجاء التعريف أيضا ، بإضافة كلمة رب إلى ضمير أو اسم ظاهر ومن ذلك قوله عليه السلام :« **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ** » [1] .

إذ أضيفت لفظة (رب) إلى ياء المتكلم ، لتشعر بالانقياد ، وخضوع العبد لربه .

- «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**» [2]

وفي الدعاء السابق أضيفت لفظة(رب) إلى اسم معرفة ظاهر(السموات). وفي قوله عليه السلام:

-- «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ**» [3] .إضافة إلى ضمير المتكلمين.

*** التعريف بأل...**

ومن أشهر أشكال التعريف وأكثرها شيوعا في الدعاء النبوي ، التعريف بأل ، حيث كثرت المفردات المعرفة بأل في ثنايا الدعاء مثل(المأثم ، المغرم ، السلام ، الجلال والإكرام ، الحمد ، الأرض) وتنوعت المعارف بين المصادر والأسماء ، والجموع والمشتقات ، وتكثر المصادر، وربما هذا يعود لدلالتها على العموم وأصل الشيء ، ومنه قوله عليه السلام:

-- **اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**» [4]

حيث المأثم والمغرم مصدران ميميان .

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ص 31 .
(2) صحيح مسلم ج 9 ص 30 .
(3) صحيح مسلم ج 2 ص 363 .
(4) صحيح مسلم ج 3 ص 75 .

***التعريف بالعلمية..**

أما التعريف بالعلمية ، فقد ورد غير موضع في الدعاء النبوي،ومثله في قوله عليه السلام:

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**» (1) .

والأعلام التي وردت في الدعاء النبوي في صحيح مسلم – بحسب رصد الباحثة– هي كالآتي (المسيح ، مصر ، يوسف ، لحيان ، إبراهيم ، المدينة ، مكة ، الشيطان ، قريش ، أبو هريرة ، عبيد بن عامر ، عبد الله بن قيس ، دوسا ، التوراة ، الإنجيل ، الفرقان) .

التنكير..

التنكير له أسرار ولطائف كثيرة شهدناها في سياق الدعاء النبوي ، تخلع عليه جمالا وتزيده تجلية وبهاء ، وقد ورد التنكير في الدعاء النبوي فيما يناهز العشرة أحاديث نذكر منها على سبيل الاستشهاد والتوضيح ، لا على سبيل الحصر ، قوله عليه الصلاة والسلام :

-- «**اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» (2) .

حيث جاءت كلمة حسنة نكرة على العموم . فتفيد الكثرة والتنوع ، فحسنة الدنيا كما فسرها العلماء ، تشمل كل المطالب الدنيوية من عافية ودار وزوج وولد ورزق وعلم وعمل صالح وثناء جميل ، أما حسنة الآخرة الجنة . ولو كانت كلمة حسنة معرفة لما دلت على هذه المعاني مجتمعة ، ولصارت مدلولاتها في معنى واحد قريب.

---

(1) صحيح مسلم ج 3 ،ص 76 .
(2) صحيح مسلم ج 9 ، ص 15 .

ومن مثل هذا التنكير الذي يدل على الكثرة والتنوع قول الله عز وجل :

﴿ **ربِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ ذَرِيَّةً طَيِّبَةً** ﴾ [1] فتنكير ذرية ،جعل فيها العموم والتكثير مادام النسل ،ولو كانت معرفة لضاق المعنى على النسل من الولد فقط،ولم يتعد إلى غيره.

ومن جميل وبليغ ما ذكر في الدعاء النبوي قوله عليه الصلاة والسلام :

--«**اللهُمَّ اجعلْ لي في قَلْبي نُوراً ، وفي لِسَاني نُوراً ، واجعلْ لي في سَمْعِي نُوراً واجْعلْ لي في بَصَري نُوراً** » [2] .وكلمة (نورا) تدل على العظمة والأخلاق ، والنور المطلوب هو ليس نور الشمس أو القمر وإنما هو نور القلوب ، بالهداية والخير ، ونور البصر الجمال والتفكر والاعتبار ، ونور السمع البر والتقى . ولو جاءت كلمة نور معرفة لضيقت معانيها ودلالاتها ، فالنور المعهود المعروف ليس كنور عام شامل ، ولا يخفى علينا تكرار كلمة نور في الدعاء ، وهذا من باب التأكيد على الغرض والخبر من ناحية ، وللتشويق واستثارة الرغبة بالهداية والسداد من ناحية أخرى. ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام :

-- «**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**» [3] .

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ** » [4] .

على الرغم من أن المرء فطر على حب الدنيا ، وكان دأبه فيها السعي لتأمين لقمة العيش، إلا أن رسولنا الكريم دعا ربه بأن يكون رزقه (قوتا) ،والقوت هو الكفاف، فكيف يدعو بالقليل من الغني الواسع الكريم؟! إن هذا التنكير ولهذه اللفظة بالذات لدليل واضح على بلاغة النبي الكريم

---

(1) سورة آل عمران ، الاية 38 .
(2) صحيح مسلم ج 3 ، ص 240.
(3) صحيح مسلم ج 4 ، ص 145 .
(4) صحيح مسلم ج 8 ، ص 325 .

فالقوت يغني الإنسان عن سؤال الناس والمذلة ،كما يحميهم من أن يظل همهم الجـــري وراء الكسب المتزايد ،فإذا أدركوا هذا ، انقطعوا للعبادة والتفكر في الله والكون ,ولم يشغلهم مـــال ولا طعام. فالتنكير في هذا المعنى بالذات أصاب فائدة عظيمة في المعنى.

إذن التعريف في الدعاء النبوي تنوع بين الضمائر والمعرف بأل ، والأعلام. و كثـــر وشاع بالمعرف بأل ، وقل وندر بالأعلام .كما أن التنكير ورد في حديث خير الأنام لغايـــة عظيمة ، وفائدة بليغة .

رابعا :الدلالات البلاغية (للمشتقات وصيغ الأفعال)

أولا : المشتقات

المشتق مأخوذ من غيره ، لأن يكون أصل له ينسب له ويتفرع منه .[1] .

المشتقات هي كل مأخوذ من المادة الثلاثية (الفعل الثلاثي) وهي ما نعرفه في اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، وصيغة المبالغة ، ومصدر المرة ، والمصدر الميمعي ، واسمي الزمان والمكان . وقد رصد البحث المشتقات الواردة في الدعاء النبوي فرأى تنوعها على قلة ورودها ، ويستطيع أن يخلص الى ذلك بالتدليل على بعض أنواع المشتقات مع بيان الدلالة على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر . مع الإشارة إلى أن المشتقات السابقة وردت كلها في الدعاء النبوي بتفاوت واضح .

أكثر المشتقات ورودا في دعائه عليه السلام – اعتمادا على صحيح مسلم – كان **اسم الفاعل** حيث ورد ثلاث عشرة مرة ، دون النظر الى التكرار من مثل (المقدِّم ، المؤخِّر ، الكافي المُؤوي ، المصرِّف ، مسلم ، مؤمنين ، هاديا ، مُقصِّرين ، مُخلصين ، الصّاحب) .

واسم الفاعل من الثلاثي على وزن فاعل نحو (ضَارِب) ، ومن الفعل المزيد يكون من مضارعه بقلب ياءِ المضارعةِ ميماً مضمومةً مع كَسر ما قبلَ الآخِر.

---

(1) حسن ،عباس ،النحو الوافي ، ط3 دار المعارف بمصر ، ج3 ، ص 182
(2) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم تحقيق حمدي محمد قابيل ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ،ص 53

فالصَّاحب مثلا اسم فاعل من الثلاثي صَحب ، أما مُصرِّف فهي اسم فاعل للفعل المزيد صَرَّفَ، بتضعيف العين ، ويلحظ أن اسم الفاعل من المزيد تكرر ثماني مرات ، في حين ورد اسم الفاعل من الثلاثي أربع مرات فقط ، والاسم عند البلاغيين والنحاة يشير إلى الدوام والثبوت .

واسم الفاعل عند النحاة يضارع الفعل المضارع ، الذي يفيد الاستمرارية ، وإذا أمعنا النظر باسم الفاعل وجدنا أن اسم الفاعل يدل قطعا على الثبوت والدوام ، والصفات الثابتة غير المنقطعة والمتجددة وهو يشترك بهذه مع الصفة المشبهة، لهذا جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو بأسماء الفاعلين ، ومن ذلك قوله عليه السلام :

-- **اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»** (1) .

والتقديم والتأخير والقدرة عليهما صفات ثابتة في الله عز وجل لا تزول ولا تنقطع ، ولو كان الفعل المضارع محلها(تقدم ، تؤخر) لدل ذلك على أن الفعل مرتبط بزمن ، وقد ينقطع ، وهذا مما يتنافى مع ربوبية الله سبحانه وتعالى وألوهيته . وانظر قول رسولنا الكريم :

- «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»(2)

فمن مقتضيات السؤال والإجابة ، أن تسأل من يمكنه تحقيق المسألة ، وإلا فلن يكون جديرا بالسؤال ، وإذا كان الإيمان متحصِّلا في القلب بأنَّ الله هو مُصرِّف القلوب وموجِّه لها على كل حال ، استشعر القلب ذلك فنطق به اللسان ، وانتقى من السبيكة اللغوية ما يظهر للمسؤول بأن

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص34 .

(2) صحيح مسلم ج 8، ص 372 .

عبده السائل عالم متيقن بقدرته ، فكانت دعوة الرسول " اللهم مصرف القلوب " وهـذا أدعى للإجابة وأسرع .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى جاءت أسماء الفاعلين التي تشير إلى المؤمنين ، لتدل على ثباتهم على تلك الصفات التي أحبها الله فيهم ، ودعاهم إليها ، ورغبهم فيها ، وهذا أيضا يزيد في الإجابة . ومثال ذلك قوله عليه السلام :

-- «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ**» **قَالُوا: وَلِلْمُقَصِّرِينَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ»** (1) .

والحلق والتقصير نسك في الحج والعمرة، ويفضل الحلق للرجل على التقـصير، أمـا الأول فبإزالة الشعر ،وأما التقصير فتجزئة منه وأقلها ثلاث شعرات.ويفيد اسم الفاعل هنـا التجـدد والدوام ، فهم على عادتهم لا ينقطعون عنها ، وهذا يضفي على الدعاء قوة وإلحاحا ، وكذلك في قوله:

(المسلمين ، المؤمنين) فالإسلام والإيمان صفات راسخة ثابتة ، لا تتغير بتغيـر الـزمن ، والله تعالى يحب المداومة والثبات على الفعل وإن قل .

---

(1) صحيح مسلم ج 5 ، ص 43 .

ثاني أكثر المشتقات ورودا في الدعاء النبوي الصفة المشبهة باسم الفاعل ، وسميت بالمشبّهة لأنها تشبه اسم الفاعل في المعنى،على أن أغلب الصرفيين جعلوها تفترق عن اسم الفاعل بالثبوت . ومن أوزانها فعْلٌ ، أفْعَل وفَعْلاء ،فَعْلان وفَعْلى، فَعُول وفُعال وفَعِيل ، وكثرت الصفة المشبه في الدعاء وربما تعود هذه الكثرة إلى أنها جميعا – عدا اثنتين – في الله عز وجل ، من نحو (كَريم ، عَظَيم ، قَدَير) على وزن فعيل و (الظَّاهر ، الباطِن ،الآخر) على وزن فاعل . وهذا يدل على فصاحة الرسول وبيانه ، فأن تدعو الله بصفاته التي يحبها ، والأحوال التي تظهر خضوع العبد الذليل لعظمة ربه وتسليمه له ، لهو دعاء أحق بأن يستجاب ويلبى , والله أعلم . ومن أمثلة ذلك:" **وَأَنْتَ الظَّاهِرُ**" و " **وَأَنْتَ الْبَاطِنُ** "و" **لا إله إلا الله العَظِيم الحَلِيم لا إلهَ إلا الله ربّ العرشِ العظيم**" .

صيغة المبالغة وهي أسماء تشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه[1] . وردت في خمسة مواضع (غفُور ، رَحِيم ، دَجّال ، كَبِير،)،ووردت كلمة(رَجِيم) مرة فقط لتشترك في دلالتها على اسم المفعول فهي بمعنى (مَرْجُوم)، من مثل : قتيل ،صريع وأكيل. وصيغ المبالغة لاتشتق إلا من الثلاثي، والصيغ القياسية لها أوزان خمسةهي: فعّال،مِفْعَال، فَعُولٌ، فَعِيل، فَعِل .ومثالها قول المصطفى:" **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**". أما **اسم المفعول** فلم يرد سوى مرة واحدة (مَهَدِيًّا) في قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» (2) .

---

(1)الراجحي،عبده(1984)التطبيق الصرفي،دار النهضة ،بيروت ص77

(2) صحيح مسلم ج 8 ، ص223 .

فكان الأقل ورودا في دعاء خير البشر ، وهذه مسألة فيها نظر ، فاسم المفعول يشير ويشعر بالدوام أيضا ، وربما كان لصيغة الدعاء التي تطلب ما لم يتحصل بعد ، علاقة بقلة وروده . كما أن اسم المفعول يشتق من المضارع المبني للمجهول،ويستعمل لوصف من وقع عليه الفعل وثبت، والدعاء لما هو مرجو بعد، والداعي يدعو لنفسه وأمته برحمة أو مغفرة أو رزق مثلا ، ولأن الداعي بشر ،وحاله يتغير ويتبدل ، كما أنه يدعو بما ليس عنده بعد ، فإن الدعاء باسم المفعول أبعد ما يمكن أن يستخدم وينطق به . والسياق يفصل بين الاستعمال ،انظر الفرق في المعنى في مثال من الذكر الحكيم ، قال تعالى :

"**واللهُ المُسْتَعانُ على ما تَصِفُون**" الأنبياء آية: 112. فالمُسْتَعان هنا اسم مفعول من استعان ، وهي تحمل معنى الديمومة والثبات ، لأنها للخالق البارئ القادر في كل حين على الإعانة والإغاثة . فصيغة اسم المفعول تدلُّ على الثبات والرسوخ وما كان رسولنا الكريم ليدعو بطلب ما هو مترسخ ثابت أصلا ، فيحدث التناقض. وكان توظيف المشتقة منتهى البلاغة والفصاحة ، إذ طلب الرسول عليه السلام الهداية لهذا الإنسان على الدوام ، والهداية من الأمور التي يحرص المسلم على ديمومتها وثبوتها عنده ،فكان دعاء النبي بها وبثباتها ظاهر من المشتقة الواردة.

ومن المشتقات في الدعاء النبوي أيضا **اسم المكان** ، وقد ورد في قوله عليه السلام: (مَلْجأ ، مَنْجا ، مَشْرِق ، مَغْرِب ، مَنْبِت)، واسم المكان يدل على مكان وقوع الفعل ويشتق من الثلاثي على وزن مَفْعِل ،بكسر العين ،من مثل موقِع ،إذا كان الفعل مثالا ،أو أجوف،أو مكسور العين في المضارع، عدا ذلك يشتق على وزن مفعَل بفتح العين[1]. ومن غير الثلاثي على وزن اسم

---

(1)التطبيق الصرفي ص 85

المفعول. و في الأسماء السابقة جاءت لفظتا ملجأ ومنجا على قياس ، أمـــا مـــشرق ومنبـــت ومغرب، فجاءت شذوذا عن القياس ،إذ الأصل فيها أن تكون مفتوحة العين ، وهـــي كلمـــات سماعية سمعت عن العرب.

وأما مصدر المرة فهو مصدر يصاغ للدلالة على أن الفعل حدث مرة واحدة، ويـــصاغ مـــن الثلاثي على وزن فَعْلة، بفتح الفاء وتسكين العين ، فنقول: قال قَوْلةً ، وضحك ضَحْكة. ومن غير الثلاثي بالمصدر نفسه مضافا إليه تاء مربوطة،من مثل انطلق انطلاقة، فإذا صـــادف أن المصدر الصريح من كلا الفعلين منته بتاء مربوطة زدنا واحدة للدلالة علـــى المـــرة. وفـــي الدعاء الشريف لم يرد اسم المرة إلا مرة واحدة في قوله عليه السلام :

-- « **اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ** » [1] .إذ وَطْأة مصدر مرة للفعل وَطِـــئَ وأصـــلها وطئ يطُؤُه إذا داسه [2]،والمراد الإهلاك والتدمير لكفار مـــضر.ويـــوحي المـــصدر بـــالقوة والكينونة للقوة التي يملكها الله لعقاب من كذب برسله.

أما **اسم التفـــضيل** فهو اسم يشتق على وزن أفعل للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة ما وزاد أحدهما على الآخر.فنقول : المؤمن أعقل من الكافر. ووردت في العربية صيغ للتفضيل حذفت منها الهمزة ،وهي: خير ،شر وحب. ولم يرد اسم التفضيل سوى مرتين فـــي دعائـــه عليه السلام :

---

(1) صحيح مسلم ج 3ص 156 . **(2) التطبيق الصرفي ص 73**

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَـرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**» [1] .

- «**اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**».[2]

وربما كان لاستعمال هذا الاسم بالذات غايته ، فكلمة خير تستعمل على وجه آخر استعمال المصدر،ومثلها قوله تعالى في سورة الزلزلة: " ومَن يَعْمَل مثقالَ ذرَّةٍ خيْراً يَرَه" وعلى وجه التفضيل في قوله تعالى :﴿ وأنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين ﴾ المؤمنون آية 109، و(خير) في دعاء الرسول على وجه التفضيل لكن استعمالها الآخر مصدراً للشيء وأصله جعلها تحمل دلالة مزدوجة وإن كانت خفية ،ربما تكون هي السبب في توظيف الرسول الكريم لها في دعائه.

نخلص هنا إلى أن الدعاء بتوظيف المشتقات الصرفية ورد في دعائه- عليه السلام- وتنوعت صوره ، وكانت أكثر المشتقات ورودا أسم الفاعل ، وأقلها على الإطلاق اسم المفعول واسم التفضيل . وعرفنا ما تضفيه المشتقات من ديمومة وثبات في العادة ، مما يشعر بحرارة الدعاء وصدقه .

---

(1) صحيح مسلم ج 3 ص 374 . **(2) صحيح مسلم ج4، ص 4**

ثانيا: دلالات الأفعال

يقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز : (وأما الفعل فموضوعه علـــى أنـــه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء)[1] ويقول أيضا : (إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيء بعد شيء)[2] .

وشرح الجرجاني شاهدا أية قرآنية لا نرى بدا من عرضها لجمال الفكرة فيها إذ يقول : (فانظر إلى قوله تعالى : ﴿... وكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ ﴾[3] . فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا ، وأن قول (كلبهم يبسطُ ذراعَيه) لا يؤدي الغرض ، وليس ذلـــك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة الصفة وتجددها في الوقت . ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة و ترجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا)[4] .

وكما كانت للأفعال دلالة في القرآن الكريم ، فإن لأفعال الدعاء النبوي دلالات أيضا نحـــاول أن نستنتجها ، انظر قوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث ، وفي كل أحاديث الاستعاذة :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»[5] .

- «ا **اللهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجال**»[6] .

---

(1) الجرجاني ،عبد القاهر،(1992)دلائل الإعجاز ، تعليق محمود محمد شـــاكر ، مطبعـــة المـــدني ، القاهرة، ط3 ، ،ص 174 .

(2) المصدر السابق ، ص 174

(3) سورة الكهف ، الاية 18 .

(4) دلائل الاعجاز ص 175 ,

(5) صحيح مسلم ج 3 ص 76 .

(6) صحيح مسلم ج 3ص 76 .

فالاستعاذة جاءت بالفعل المضارع لا بالماضي مثلا ، وهذا يدلُ على الاستمرار والتجـــدد في الاستعاذة ، فليست مرتبطة بزمن ما أو مكان ما أو أمة ما ، إنما كائنة كينونة صـــاحبها، ترافقه دائما ، يدعو بها ، ومثلما كان العذاب موجودا وآتيا آتيا ، والفتنة قادمة قادمة ، فـــإن الاستعاذة قائمة أيضا مستمرة ، ويا لها من بلاغة وجمال تعبير عندما دعا الرســـول الأمـــين ربه:

- «**اللهُمَّ نَقِّنِي مِن خَطَايايَ كَما يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِن الدَّنَسِ ، اللهُمَّ اغْسِلْنِي مِن خَطَايايَ بالثَّلْجِ والمَاءِ والبَرَدِ**» (1) .

فجعل التنقية حالية فيها تجدد وتكرار في الفعل (ينقى) ، فالإنسان حي ، وليس بمعصوم عن هفوة أو ذنب يعرض له ، فكان لزاما أن يدعو بتنقيته من هذه الذنوب والخطايا ، فكلما وقـــع فيها دعا أن ينقى منها ، فلم يكن أحسن من الفعل المضارع (ينقى) لثبات المعنـــى وجمالـــه وصحته.

وفي قوله عليه السلام :

- «**اللهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ**» (2) .

إشارة لطيفة إلى عنايته صلى الله عليه وسلم بدقة المعنى ، فلم يقل يا رب لقد حرمت ما بين جبليها ، بل قصد إلى استعمال أحرم ، ليفيد المداومة وعدم الانقطاع وعدم الرجوع عما رمى إليه وطلبه .

---

(1) صحيح مسلم ج 4 ، ص 45 .
(2) صحيح مسلم ج 5 ، ص 113 .

وكذلك هو المرام في مخاطبته ربه جل وعلا قائلا :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ** » (1) .

فالفعل اتخذ ، يشير إلى هذا العهد والميثاق بين الله عز وجل وحبيبه سيد الأنام ، الذي لن ينقض ولن ينكث به ، فتأدب النبي مع ربه ، وانقياده له وحسن ظنه بخالقه ، كل هذه مجتمعة جعلت النبي يدعو بقوله (أتّخذُ) فلم يقل اتخذت . وصيغة الوزن افتعل تفيد الاتّخاذ أصـــلا ، كقولنا احْتَطَبْتُ إذا طلبنا الحطب،واتخذت العهد إذا جعلته اتفاقا بين طرفين،فلهذا لم يقل النبي الكريم أخذت، لأن معناه يختلف عن المعنى المراد من اتخذت.

ومن المشاهدات في الدعاء النبوي بخصوص الأفعال ، استعمال أفعال دون غيرهـــا ، وتكرارها في دعائه عليه أفضل الصلاة والتسليم ، فالفعل (أعوذُ) مثلا كان أكثـــر الأفعـــال ورودا في الدعاء النبوي ، حيث زاد على سبع عشرة مرة ، يليه الفعل (اغفرْ) حيث ورد فيما يزيد على أحد عشر دعاء ، بصرف النظر عن التكرار باختلاف الرواية . ثم يليها (اجعلْ) ، وباعدْ وغيرها من الأفعال .

ولا يمكن أن يكون هذا التكرار عشوائيا ، فإذا تفكرنا وحاولنا ،نجد سببا للمقاربة بين الفعلين (أعوذُ ، اغفْر) وسبب زيادة الاستعاذة على الغفران ، لوجدنا أن الاستعاذة ســـابقة للمغفرة ، إذن الأصل أن يتدارك الذنب قبل ارتكابه والوقوع في شركه ، والاســـتعاذة حفـــظ للنفس من كل شر هو في الأرض أو في السماء أو تحت الثرى ، وإذا تحقق الحفظ والصون ، بعدت النفس عن ارتكاب الذنب ، فكانت أولى أن يدعى بطلبها والإلحاح عليها ، فهي المغـــنم والمكسب

---

(1) صحيح مسلم ج 8 ، ص 325 .

أما إذا ضعفت النفس ، وفقدت الحصانة المتحصلة من الإيمان والتقوى ، ووقع المرء في شر ما عمل ، وسجل عليه الذنب ، توجه إلى خالقه الذي يعرف مـــدى رحمتـــه ومغفرتـــه ، وناداه أن اغفر وارحم . والغفران أن يصون الله عبده من أن يمسه عذابه ، لذا كان أفـــضل وأحسن ما دعا به إنسان .وانظر دلالة الفعل (آتنا) في قوله عليه السلام :

-- « **اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** » [1] .

فالإيتاء يقتضي التمام ، كما يحمل معنى الهبة المحضة ، دون طلب يسبقها ، وهذا من عظيم ما ورد في القرآن والدعاء النبوي . (والإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبـــات مفعولـــه ، لأن الإعطاء له مطاوع) [2] .

وهذا يقود إلى قضية كبرى شغلت العلماء وأهل اللغة طويلا ، ألا وهي قضية التـــرادف فـــي اللغة العربية ، ووجودها من عدميته ،والترادف لغة من التتابع ، وترادف الشيء :تبع بعضه بعضا،واصطلاحا هو الألفاظ الدالة على شيء واحد .وقد انقسم العلماء قديما وحديثا في إقرار حقيقة الترادف فمن مؤيد كابن جني الذي جعل في كتابه بابا لتلاقي المعاني فيقول:

" ذلك أنك تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة ،فتبحث عن أصل كل اسم منها ،فتجـــده يفـــضي المعنى إلى معنى صاحبه"[3] . وهو يعترف به ويرى أنه مبحث ذو نفع عظيم يدل على اتساع

---

(1) صحيح مسلم ج 9، ص15 .

(2) الزركشي، بدر الدين ،البرهان في علوم القرآن ، ط2 تحقيق محمد أبـــو الفـــضل ،دار المعرفـــة ، بيروت ، ،ج4 ، ص 85 .

(3) أبو الفتح،عثمان بن جني(2007)الخصائص،ج2،دار الحديث، القاهرة،ص112

اللغة. ومن المنكرين للترادف، العسكري(ت 1005 م) الذي يرى أن كل اسم يشار به إلى الشيء مرة واحدة فيعرف، فإن أشير إلى الاسم الواحد غير مرة دون فائدة كان ذلك فسادا للغة[1].وإن اكتسب في كل مرة دلالة جديدة كان ذلك أقوى وأبلغ، والعربي فطن بليغ في كل مرة يوظف فيها لفظا موحيا له دلالته الخاصة. وساق العسكري أمثلة جمَّة للتدليل على الفروق اللغوية الدقيقة، ومنها قول طرفة بن العبد[2]:

أَلَا حَبَّذَا هِنْدٌ وأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ وهِنْدٌ أَتَى مِن دُونَها النَّأيُ والبُعْدُ

والشاهد في لفظتي(النأي والبعد) ولو كانتا متطابقتين لما عطف طرفة الثانية على الأولى، والنأي لغة: أول البعد.

ومجال الترادف شائك ممتد لا يتسع المجال هنا لذكر تفاصيله ، ولكن يكفينا أن نسهم بقليل قليل فيه بأن نقول: لكل فعل معنى ودلالة في سياقه وتركيبه اللغوي ، لا يمكن لفعل آخر يماثله خارج السياق معنى ، أن يؤديه ، وإذا كانت الأسماء متشابهة معجميا فإن السياق يجعلها تفترق دلالة، والله أعلم .

---

(1)العسكري ،أبوهلال،الفروق اللغوية،تحقيق محمد إبراهيم سليم،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة ،ص22

(2)ديوان طرفة بن العبد (2002)شرح مهدي محمد ناصر الدين، ط3،دار الكتب العلمية بيروت،ص33

خامسا : القصر ودلالاته البلاغية

يعد القصر من أساليب التوكيد البلاغية ، بل نستطيع القول بأنه أعلاها مرتبة ؛ لأنـــه توكيد فوق توكيد، ففيه تختصر جملتان في جملة واحدة ويتحد معنيان ليؤكدا معنى واحدا.وهذا لايعني أن كل توكيد ينبغي له القصر ،فأي أساليب التوكيد البلاغية إذا اقتضاها السياق كانـــت أسدّ وأبلغ، وحاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، نحو قولنا زيد شاعر . وقولك : ما زيد منجم بل شاعر ، وطرق القصر أربعة[1] :

– القصر بإنما وهي أداة القصرالمشهورة ،نحو قوله تعالى"إنما حرم عليكم الميتـــة والـــدم " البقرة آية 173. وهنا يتأخر المقصورعليه وجوبا على المقصور.

–القصر بالنفي مع الاستثناء ،وفيه ترد أداة نفي في سياق الاستثناء لغاية القصر.ويكـــون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء،نحو قول الشاعر [2] :

وقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتُها مَا قَطَّرَ الفَارِسَ إلَّا أَنَا[3]

– القصر بحروف العطف (لا ، بل ، لكن) نحو قولنا:

. المتنبي شاعرٌ لا كاتبٌ ، وهنا يتقدم المقصور عليه قبل حرف العطف ليـــستوي المعنى.

.ما الأرضُ ثابتةٌ لكن متحركةٌ. ويكون المقصور عليه متأخّرا بعد حـــرف العطـــف لكن.

. ما الأرضُ ثابتةٌ بل متحركةٌ. ويكون المقصور عليه متأخّرا بعد بل.

---

(1) مفتاح العلوم ، ص 257 .

(2)المصدر السابق ،ص 260 .

(3) شعرعمرو بن معديكرب الزبيدي(1985)تحقيق مطاع الطرابيشي،ط2،مطبوعات مجمع اللغة العربيـــة ،دمشق،ص:167، قطر الفارس إذا طعنه وألقاه أرضا.

– القصر بتقديم ما حقَّه التأخير،كقوله تعالى : ﴿ **إيَّاكَ نَعْبدُ وإيَّاكَ نَستَعين** ﴾الفاتحة،آية 4.

وأشار سيبويه إمام النحاة إلى القصر فقال : (كأنّهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، و إن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم)[1] .ويكون التقديم للجار والمجرور أو ضمير النصب المنفصل. و في أدعية المصطفى عليه السلام تتبع البحث أسلوب القصر بصوره الأربع . فوجد أن القصر موجود بطرقه إلا واحدة وهي القصر بحروف العطف ، والأدعية كالآتي وفق طرق القصر السابقة:

1– **القصر بإنَّما** : دعاء واحد فقط وردت فيه (إنما) وهو قوله عليه السلام :

– «**اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً**» [2] .

وجمهور العلماء على أنها (إن المؤكدة) و (ما الكافة)، رغم أن بعضا منهم قال إنها (ما النافية) حملا لهاعلى النفي والاستثناء في قوله تعالى:"**إنَّما حَرَّمَ علَيكُم الميتَة والدَّم**" و القصد : ماحرم عليكم إلا الميتة والدم. وهذا ضعَّفه كثيرون. ويقول فيها الجرجاني :

" أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب ، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريف بأمر هو مقتضاه "[3] .وإنما في الحديث الشريف السابق تحمل في لفظها ومعناها الحصر،فقد قصر عليه السلام ضمير المتكلم (أنا)على البشر، وفي هذا تقييد له بأنه لايعدو واحدا منهم.ولوقال : بشر أنا ،لأفادت معنى التوكيد فقط، ولكن إنما جعلت التوكيد أقوى بتعديه لجمع معنيين في معنى واحد :أن الرسول بشر وأن البشر يخطئون.

---

(1) دلائل الإعجاز ،ص 107

(2) صحيح مسلم ج 8 ، ص 352 .

(3)دلائل الإعجاز ص 354 .

2- القصر بالنفي مع الاستثناء : دعاءان اثنان وردا على هذه الصورة وهما : -

- «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ** » (1) .

- ودعاء الكرب : « **لا إِلَه إِلاَّ اللَّه العظِيمُ الحلِيمُ ، لا إِله إِلاَّ اللَّه رَبُّ العَرْشِ العظِيمِ ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه رَبُّ السمَواتِ ، وربُّ الأَرْض ، ورَبُّ العرشِ الكريمِ** » (2).

وطريقة القصر بالنفي والاستثناء تستعمل في المعنى الذي يحتاج لزيادة التوكيد والتقرير ، وفي كلا الحديثين حديث عن التسليم والانقياد والإيمان الذي لا يشوبه شك بقدرة الله وتحكمه وقدرته على المغفرة والرحمة، لذا كانت هذه الطريقة أبلغ في جعل الخبر يقينا وإظهار قناعة الداعي وبعده عن أي شك أو تردد. وأدوات النفي كثيرة نحو(ما ،لا ،لن ، ليس) ولكل أداة معنى تؤديه، وجرس خاص بها لا يؤديه غيرها. وفي الدعائين السابقين كانت أداة النفي (لا) وهي أداة عامة الدلالة تتحدد دلالتها بمدخولها، دخلت على الجملة الفعلية في الدعاء الأول ونفت الفعل المضارع وهو نفي ممتد لا ينقطع ،أسهم في إبراز المعنى المراد من الدعاء.وفي الثاني دخلت على الجملة الاسمية (لا إله إلا الله) فنفت الجنس وأظهرت الاستغراق ، وهذا حالها إذا دخلت على نكرة، وبهذا كانت (لا) مع الاستثناء هي الطريقة الأبلغ لنفي الألوهية عن غير الله وقصرها عليه وحده سبحانه وتعالى . والقصر هنا يراعي صفة الألوهية ومعاني التوحيد ، تنزيها لله عن أي شرك له وهذا من باب قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقا ، لأن الألوهية صفة ، لا يمكن ادعاؤها لغير الله .

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص 24

(2) صحيح مسلم ج 9 ، ص 41

ودعاء نبينا الكريم يشبه دعاء يونس عليه السلام ، إذ نادى ربه مستغفرا :

﴿**أَنْ لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِن الظَّالِمِين** ﴾ الأنبياء آية 87

وإذا كان الخبر في الآية جاء مؤكدا بإن التوكيدية ، وأسلوب الحصر ، ليظهر يقين يونس عليه السلام وإقراره بذنبه ، فإن التكرا ر لجملة لا إله إلا الله في الدعاء النبوي زاد على التأكيد تأكيدا وضاعفه ، ليكون المعنى قويا وجليا لا شك فيه ولا ريبة .

3- **القصر بتقديم ما حقه التأخير** ، تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور) على متعلقه وهو النمط الأكثر شيوعا في الحديث النبوي ، ومثل ذلك قوله عليه السلام :

-« **بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي** » (1) - « **لَكَ أَسْلَمْتُ** »(2)

-- « **بِكَ آمَنْتُ** » (3) -«**عَلَيْكَ تَوكَّلتُ** » 4)

وفي لغة العرب تقديم الجار والمجرور يكون لمزيد من الاختصاص، وتذهب الدراسة إلى أن هذا التقديم في الأدعية الشريفة بتقديم شبه الجملة على الفعل ،اختصر الكثير من المعاني المتعلقة بالإيمان والربوبية ماكانت لتظهر لو أخر الرسول الكريم الجار والجرور ، فليس التوكل أو الاستسلام هو الذي يؤرِّق رسولنا عليه الصلاة والسلام ،بل بيان المعبود الذي تتعلق به كل هذه الأحوال فكان التقديم أقوى في ترسيخ التعلق والخضوع.

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص 31 .
(2) صحيح مسلم ج 9 ، ص34 .
(3) صحيح مسلم ج 9، ص34 .
(4) صحيح مسلم ج 9، ص 34 .

ونستطيع أن نخلص من هذا إلى أن القصر في الدعاء النبوي ماثل نظيره في القرآن الكريم، والعربية، إذ استعملت (إنَّما) في حديثه –عليه السلام– لتقرير حقيقة معينة ، وهي كون الرسول عليه السلام بشرا ، وهي إعلان لله وللناس من حوله بأنه إنسان يخطئ ويصيب ، ويرضى ويغضب ، ويسر ويحزن . والخطاب في الدعاء هنا ماثل الآية القرآنية التي تقول : ﴿ **قلْ إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم** ﴾ فصلت،آية 6. وفيها أيضا تهيئة للخطاب بعدها ، وتمهيدا لما سيكون بعدها ، فكون النبي الأمين بشرا تتنوع حالاته النفسية وتتفاوت ردود فعله ، مقدمة حسنة لكونه قد يسب أحدا أو يلعنه إذا آذاه وهذه قمة الذكاء اللغوي في سرد التمهيد وإلقاء الخبر وأما النفي والاستثناء ، فأسلوب عرفه الدعاء النبوي واستعمل للمعاني التي احتاج فيها النبي –صلوات الله عليه– إلى مزيد من التوكيد والتقرير ، فهي تلقاك إلا حين تلقاك النبرة العالية والنغمة الحاسمة ، والتعبير السديد لذا جاء القصر في الدُّعاء النبوي لغاية عظيمة وسامية .

الإفراد في الدعاء النبوي

عني اللغويون والبلاغيون العرب بالإفراد والجمع ، وألفوا فيها المؤلفات ، وذكروا النكات البلاغية فيها ، ويذكر جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان ، أن الأخفش ألف كتابا في الإفراد والجمع ، ذكر فيه ما وقع في القران مفردا وما وقع جمعا .

وفي الدعاء النبوي شواهد بارزة هنا وهناك ، على كلمات جاءت مفردة في دعائه عليه السلام ، ولم ترد جمعا فيه أبدا من مثل (حَسَنة ، نُورا ، مُدّهم ، صَاعِهم ، قُوتاً ، النّار) وهذا الإفراد له دلالته ولا شك ، فكلمة حسنة في دعائه عليه السلام :

-« **اللهُمّ آتِنا في الدُّنْيا حَسَنة ً** » [1] .

جاءت نكرة من ناحية لتدل على عموم ،كما جاءت مفردة لتدل على الشمول والاحتواء ، فالحسنة يندرج تحتهاأي فعل أو أمر حسن ، وتبدو بأجزائها واضحة المعالم ، ولو كانت جمعا (حسناتٍ) ، لقبح المعنى ، وظننا أن لكلٍّ حسنة نوعا خاصا بها من الثواب والأجر . والعدول إلى المفرد (حسنةً)عن الجمع (حسناتٍ) تصرف في الصيغ ، وإلباس المفرد معنى الجمع مما يشعر بالكثرة والعظمة،ويمكن أن يعد هذا من الإيجاز أيضا.

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص 15 .

وكلمة(نورا) في قوله عليه السلام :

- « **اللَهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبي نُوراً وفِي بَصَري نُوراً**» [1] . يشبه معنى قوله تعالى :

﴿ **رَبَّنا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا** ﴾ التحريم،أية: 8. فالنُّور لغة:هو الضوء وسطوعه [2]،وهو ما يرينا حقيقة الأشياء. أما المعنى المراد فهو الهداية والحق والتقوى ، ومخافة الله ، وهو في عمومه يدل على كل خير ، والنور أصل الرؤية والإبصار،وبه يهتدي المرء ويبصر ، ولو كانت على الجمع(أنوار)لأشعرت بمعنى الضوء المعروف ،فكان إفرادها أقوى في إبراز دلالتها على الهداية والاستقامة.وكلمة النار في قوله صلى الله عليه وسلم :

-- « **وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** »[3].فلفظة النار مفردة بالرجوع إلى أصلها فهي من أصل واحد ومادة واحدة ، فالإفراد يناسبها لا الجمع ، وهي تشمل كل معاني الهلاك والثبور والفناء ، وهي في إفرادها تشبه إفراد الريح المعنية بالعذاب والهلاك ، إذا دعا بها الله على أقوام فتفنيهم.

أما في قوله صلى الله عليه وسلم : -- «**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»[4].

ففي إفراد القوت عموم أيضا ، حيث يشير إلى كافة أنواع الطعام ، لكن بقدر الكفاف ، مما يؤمن العيش والبقاء ، فجعل(قوت)مفردة ، ولو جمعها لما دلت على القلة ، ولظنناها جمع لزيادة .

---

(1) صحيح مسلم ج 3، ص240 .
(2) أنظر المعجم الوسيط مادة نور.
(3) صحيح مسلم ج9، ص 15 .
(4) صحيح مسلم ج4 ص 145 .

الباب الثاني

تركيب الجمل

- علاقات الجمل .
- ترتيب الجمل .
- الإيجاز والإطناب .

أولا : علاقات الجمل

يوجد بين الجمل روابط وثيقة ، وعلاقات قربى ، فهي تنتظم في السياق ، فتأتي بالمعنى المراد وفق نظام محكم .

وقد سئل البلاغيون عن البلاغة ما هي؟ فأجابوا بأنها معرفة الفصل من الوصل [1] . وقالوا بأن الفصل والوصل فن عظيم ، صعب المسالك ، دقيق المأخذ ، لا يحيط به إلا بليغ فهيم ، عارف بكلام العرب بطبعه وفطرته وذوقه .

وقال الجرجاني بأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد ، إلا كمل لسائر معاني البلاغة ، وقال :"اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ،أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة " [2] . والعطف يفيد الاشتراك في الإعراب ، والإشراك في الحكم ، والإشراك في المعنى ، وقيل إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام[3] . ولايكون الفصل أو الوصل إلا لإثارة نفوس المخاطبين والتأثير فيهم.

الوصل ...

الوصل من وصل الشيء وصلا وصلة ،والوصل ضد الهجران [4]،والوصل اصطلاحا: ربط معنى بمعنى لغرض بلاغي. وأدوات الوصل متعددة ،من مثل: حروف العطف، وحروف

---

(1) العسكري، أبو هلال(1986)،الصناعتين ، تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ، بيروت ، ص438 .

(2) دلائل الاعجاز /ص222 .

(3) الصناعتين ص 438 .

(4) اللسان،مادة وصل .

الاستئناف وكلمات المصاحبة وغيرها , وحروف العطف أقواها لأنها الأولى مرتبة في الربط. إذن نستنتج أن الوصل باختصار عطف الجمل بعضها على بعض ، وإحداث علاقة تربطها معا، ويظهر للمتأمل في أحاديث الدعاء أن الوصل فيها كثير ، انظر قوله عليه السلام:

-- «**اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**» (1).

فلسان الداعي يلهج في قرارة نفسه ، ومقام الدعاء حار صادق ، إذا انطلق الداعي منه وتوجّه بطبيعته البشرية الطّامعة في رحمة الله خرجت الجمل معطوفة بعضها على بعض ، وقد تصل إلى أربع أو خمس جمل كما رأينا .والواو حرف يفيد الاجتماع ،وليس أنفع منه أداة للوصل بين كل هذه الأمور ،ولم تكن أداة أخرى لتؤدي الغرض ذاته.

وكلما كثرت الحاجات والطلبات وتنوعت ، كثر العطف (أي الوصل) في الدعاء ، ومن ذلك قوله عليه السلام :

-- « **اللهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**» (2).

فالغسيل والتنقية والمباعدة عن الآثام كلها مطالب متفقة وتدور في معنى واحد ، لذا كان العطف بالواو أقوى، ومن بلاغة الوصل أن لكل أداة موضعا لا يصلح لأداة أخرى. ويلاحظ أن العطف أو الوصل هنا بين الجمل الإنشائية ،فكلها جمل طلبية مبدوءة بفعل الأمر.

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ص35 .

(2) صحيح مسلم ج 3 ص 83 .

ويكثر العطف في الدعاء النبوي بحرف العطف (الواو)، حتى ليشكل النسبة الأكبر في طرق وصل الجمل بعضها ببعض ، ولم يرد إلا أدعية قليلة كان الوصل فيها بالفاء ، منها قوله عليه السلام :

-- « **وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ، وَالْمَغْرَمِ**»(1).

-- « **فَاغْفِرْ لِي مغفرة من عندك فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ** » (2).

والفرق بين الواو والفاء أن الأولى تفيد الإشراك في الحكم والاجتماع كما أسلفنا، ومن الضروري أن يكون بين المعطوفين مناسبة ، حتى يكون المعنى في الجملة وفقا لمعنى في الأخرى ومضافا له.

والثانية (أي الفاء) قد تفيد الترتيب والتعقيب ، أو التفريع ، فكون الله عز وجل قادرا على المباعدة بين المرء وذنبه ، فإنه قادر على صون المرء وحمايته من الشرور الدنيوية والأخروية . وفي الدعاء الأول يدعو الرسول بأن يبعده الله عن خطاياه ،ثم يستعيذ من الكسل والهرم ، فوصل الجملتين بالفاء لأن فيها معنى الافتراق على كونها أداة وصل،وهذا من البلاغة والفصاحة،والله أعلم.

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص25 .
(2) صحيح مسلم ج 9 ، ص 24 .

الفصل...

ومثلما كان الوصل ظاهرة في الدعاء النبوي ، كان الفصل أيضا موجـــودا حيـــث اقتـــضى الفصل ولزم وصار قائما انظر قوله عليه السلام :

- « **اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أنت قيِّم السَّمَاوات وَ الْأَرْضِ ومن فيهن** » [1].

فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى ولم تربط معها بحرف رابط ، وفي أحيان كثيرة يكـــون الرابط أقوى من أن يعبر عنه حرف عطف . ويكون التأكيد بشيء يشبه التـــذييل ، أو لعلـــه يكون تعليلا للخبر في الأولى . فقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لك الحمـــد) واتباعـــه ب(أنت قيم ..) يعني أن الله قيم السموات والأرض ، والمتحكم فيما خلق ،والواجب حمده على نعمه ، فكأنما الجملة الثانية تعليل للأولى ،وفي هذه الحال يكون الفصل من كمال الاتصال.وقد يكون الفصل بين جمليتين ، لكون الجملة المفصولة مبنية على الاستئناف الباني ، ويظهر ذلك في قوله عليه السلام : «**فَبَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**» [2].

فعلى الرغم من أن الجملة الثانية لم تعطف على ما قبلها ؛ أي أنها مفصولة عنها ، إلا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بسابقتها ، فتقديم الحمد والشكر لله متعلق بتقديم الصدقة وإطعام الطعام ، ودليل على أن العبد شاكر ربه ، لذا دعا الرسول الأمين للرجل بالبركة واليمن، ونبّه على ضرورة حمدالزوج الله بإطعام أهله .وظاهر الحال أن الجملة الأولى خبرية في لفظها ، بينما الثانية طلبية ،ولا يكون الوصل صائبا بين الجملتين المختلفتين،ولكن البلاغة هنا أن الجملة الأولى

---

(1) صحيح مسلم ج 2 ، ص363 .
(2) صحيح مسلم ج 5 ، ص 178 .

طلبية لإفادتها معنى الدعاء على كونها خبرية، فهي في معناها تشبه الجملة الثانية ، لذا جعلت الجملتان كأن إحداهما امتداد للأخرى، والارتباط المعنوي أغنى عن حرف العطف،مع بقاء العلاقة بين الجملتين صحيحة سليمة ؛إذ إن عطف الجملة الإنشائية على الخبرية لايجوز.

وفي قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»[1].فصلت الجمل بعضها عن بعض ، لأن بينها رابطة أقوى من رابطة حرف العطف ، وكأنما جاءت الجملة الثانية (اللهمَّ آتِ ما وعدتني) مؤكدة للجملة الأولى (اللهم أنجزني ما وعدتني).والجمل المؤكدة لما قبلها حقها الفصل ، فهي لم تأت بمعنى جديد مغاير للذي قبله ، إنما هي جزء من الكلام السابق ، لذا كان الفصل أولى . مع حقيقة أن الأولى طلبية ، والثانية طلبية ، وهذا قد يستدعي الوصل ، إلا أن تشابه المعنى الذي يفيد التوكيد استبعد الوصل وهذا أحسن وأجمل . ويقول عليه الصلاة والسلام: : « **اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ**»"[2]يلاحظ في الدعاء السابق كيف أن الوصل كان بحرف العطف (و) بين الجمل التي جمعتها معان مشتركة، وهذه الجمل صح فيها الوصل للأسباب الآتية: بداية المسند إليه في الجمل الأربع واحد وهوضمير الرفع المنفصل

---

(1) صحيح مسلم ج 6 ، ص 274 .

(2)) صحيح مسلم ج 9 ، ص 33

(أنت) ويجمع بين الجملة والأخرى التضاد بين المسندين: (الأول،الآخر) (الظاهر،الباطن). وهذا من البلاغة بمنزلة ؛ إذ يَحسن أن يكون الخبر عن الثاني بمنزلة الشبيه أو النظير أو النقيض للخبر الأول، وكلما زادت الصلة السابقة ازداد معنى الجمع في (الواو) قوة وظهورا[1]. ومثل هذا السياق يرد في عدة مواضع في الدعاء الشريف ،نحو قوله عليه السلام:

- « **اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ** » [2].

نستطيع القول إذن: إنَّ الوصل والفصل جاءا في الدعاء النبوي على نحو كان له بلاغته وتأثيره في إبراز المعنى وتكثيفه، وهذا مؤشر على بلاغة الرسول الكريم ودليل على أن هذا الذكاء البلاغي الذي يراعي المعنى والمضمون لا يمكن أن يكون إلا للرسول عليه الصلاة والسلام ، بلفظه وطرائقه.

و كان الوصل في الدعاء أكثر من الفصل ، وأكثر الوصل بحرف العطف أو ،وربما يعزى هذا الوصل إلى أن الدعاء فيه لهفة وابتهال واستسلام لله عز وجل ، مما يجعل الكلمات والعبارات تخرج على لسان الداعي دون فصل ، ونرى أغلب الوصل في الجمل الإنشائية الطلبية ، وأكثر الفصل في جمل التوكيد .

---

(1) دلائل الإعجاز ص226

(2)صحيح مسلم ج5،ص 93

ثانيا : ترتيب الجمل

إنَّ تقديمَ الجملِ بعضها على بعض ،أو تأخيرها ،أو فصلها أو حذفها ، لا يكون إلا لغاية بلاغية ، ورغبة من المتكلم في التركيز على معنى دون غيره .

وقد عُني البلاغيون العرب بأحوال الجملة ، ومن أوائل الذين أشاروا لهذه الأحوال عبد القاهر الجرجاني ، الذي تحدث عن النظم وطرائقه ، وأشار إلى أن اتحاد أجزاء الكلام ، وتداخل بعضها ببعض وتكاثرها مسلك دقيق ، ينبع من توخي معاني الكلام ذاته ، والعناية بالفروق الدقيقة بين جمله ، إذ قال :

" واعلم أن مما هو أصل في أن يدقّ النظر ، ويغمض المسلك في توخِّي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن نضعها في النفس وضعا واحدا ، وأن يكون حالك فيها حال الباني ، يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع يساره هناك . وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة" [1] .

وساق الجرجاني أمثلة شعرية كثيرة لبيان حسن النظم وجماله،ومنه قول زياد بن الأعجم [2] :

وإِنَّا وَمَا تُلْقِي لنَا إنْ هَجَوْتَنَا لَكَالبَحْرِ،مَهْمَا يُلْق فِي البَحْرِ يَغْرَقِ

---

(1) دلائل الإعجاز ، ص 93 .

(2)المصدر نفسه ،ص 96.زياد بن سليمان بن الأعجم من فحول الشعراء في عصر بني أمية، لقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه، قال هذا البيت في قصيدة له يرد فيها على الفرزدق حين سبّه وسبّ قومه.انظر الأغاني392/15.

وعلّق على البيت بقوله : (وإنّما كان أعجب لأنَّ عمله أدقُّ وطريقته أغمض ، ووجه المشابكة فيه أغرب).

وتظهر هذه العلامات في الحديث النبوي الشريف بصورة جلية ، إذ نرى فيه الجمل يتبع بعضها بعضا ، ونراها تتداخل وتلتحم ، فكأنها جملة واحدة ، ومن خلال دراستنا للدعاء النبوي ، حاولنا أن نقف على شيء من سر ترتيب الجمل ، معتمدين على السياق التركيبي .

ونبدأ بقوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**» [1].

فلقد بَدَأ عليه السلام بتعظيم الله عز وجل ، والاعتراف بربوبيته ، وهذا أقرب للإجابة فذكر الله (ربّ السّموات وربّ الأرض) وهذا وفق الترتيب الحقيقي في الواقع ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن السماء أسبق وجودا من الأرض ، ثم يأتي على ذكر الحبِّ والنَّوى(ربّ كلِّ شيء خالق الحب والنوى) فبعد الأرض وتكوينها ، وتمهيدها لتصبح ملائمة للحياة ومظاهرها ، يظهر الحب والنوى ، رمز الخير والخصب والحياة ، وتستقر الحياة وتترسخ مقوِّماتِها ليحيا الناس ويتكاثروا ، ومع استقرار الحياة وتأمين البقاء الجسدي وتحقيق الأمن الغذائي لا بد من أمن نفسيّ ومجتمعيّ

---

(1) صحيح مسلم ج 9ص 30 .

نفسيّ، ومجتمعيّ ، فيذكر النَّبي الأمين الكتب السماوية (التّوراة والإنجيل والفرقان) فلا شك أن هذه الشرائع السماوية هي التي ترسي دعائم الحياة الإنسانية ، وتحفظها بما تنادي به من تعاليم سمحة ، وقد جعلها عليه السلام مرتبة ترتيبا زمنيا ، فالتوراة أولا على موسى عليه السلام ، فالإنجيل على عيسى عليه السلام ، وختمها بالقرآن الكريم على خيرالأنام محمد عليه السلام ، ونلاحظ هنا العلاقة الوثيقة والترتيب الواقعي للجمل والأحداث .

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :

-- «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**»[1].

فالإطعام والسقاية ، قبل الكفاية والإيواء ، وهاجس كل إنسان أن يبقى على قيد الحياة بسد رمقه من طعام أو شراب ، و ثم يفكر في مكان يؤويه أو كفاية من شرّ أودفع له .ومثله أيضا قوله عليه أفضل الصلوات والتسليم :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**» [2]

يبدو تكاثر الجمل واضحا ، والعلاقة الوثيقة بين الجملتين ، إذ بنيت الثانية على عجز الأولى ، فكأنّما تنظر إلى هرم أساسه الهدى والتقى ، فإذا تحققا عند إنسان فصحت عقيدته واهتدت جوارحه ، لا شك أنه سيعفُّ ، ويربأ بنفسه عن المعاصي والآثام ، ويستغني عن كل ما يقود إلى ذنب أو خطيئة .

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص 31 .

(2) صحيح مسلم ج 9 ، ص 38 .

ومنه أيضا قوله عليه السلام :

- «**اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**»[1].

فقد دعا الرسول عليه السلام بأن يصلح الله له دينه ، لأن صلاح الدين هو سبيل النجاة وحفظ النفس في الدنيا والآخرة ، وجاءت جملة (الذي هو عصمة أمري) تعليلا وتفسيرا لمضمون دعائه . ثم انتقل إلى الجملة الثالثة ، وطلب إصلاح الدنيا التي تأتي في المرتبة الثانية بعد صلاح الدين ، فهي تتضمن صلاح كل الأمور الدنيوية الأخرى ، من صحة وطعام وشراب ورزق ، وعلم وغيره .ومنه أيضا دعاؤه عليه السلام للميت :

- «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ**» [2].

فالدعاء للميت بالمغفرة والرحمة أولى وأوجب ، فيخف الحساب ، ثم يطلب له العفو والعافية ، والعفو يكون عن الذنوب، والعافية من كل عذاب ، فإذا تأكد الغفران وتحققت الرحمة ، كان العفو وكانت العافية ، وبهذا يصار إلى إكرام النزل وتحسين الدار وحسن الإيواء . وانظر الترتيب المنطقي في قوله : ((واغسله بالماء ، والثلج والبرد ، ونقِّه من الخطايا)) فالغسيل فيه شمول لعموم الجسد (عموم الذنوب) فيغسل حتى لا يبقى إلا القليل القليل،ومادة الغسل:الماء والثلج والبرد ،تقضي على كل شائبة ،لذا قدم الغسيل هنا ، ثم تكون التنقية شيئا فشيئا حتى يجلو جسده

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ، ص35 .
(2) صحيح مسلم ج 4 ، ص 45 .

وروحه من كل ذنب مهما صغر .وقد يكون الترتيب بالتقديم والتأخير – أحيانا – غير مراع للترتيب الواقعي للأحداث ، فيكون حينها مراعيا للأهم عند الداعي ، فيلهج لسانه بالذي يؤرقه ويشغله ، ومنه قوله عليه السلام :

– «**اللهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ**» (2).

وعذاب القبر سابق عذاب النار في الواقع ، إلا أنَّ عذاب النار أشد وأقسى ، مما يؤرِّق كل إنسان فيخشاه ويعمل على دفعه عنه ، وهذا حال رسولنا الكريم يخشاه ويخشى على نفسه وعلى أمته ، فقدمه على عذاب القبر لما فيها من تحديد المصائر ، وخلود الأجساد ، إما في العذاب وإما في السعادة والرضوان .

إن ترتيب الجمل في الدعاء النبوي له بلاغته الواضحة ولطائفه الخفية فأحيانا كانت الجمل تراعي الترتيب الزمني ،وأحيانا لا، ومردُّ ذلك كله إلى ماتقتضيه المعاني وما ترمي إليه النفوس.

---

(1) صحيح مسلم ج 4 ، ص 45 .

(2) صحيح مسلم ج 9 ، ص 25 .

ثالثا :الإيجاز والإطناب

الإيجاز والإطناب من الأبوابِ البلاغيّةِ المهمَّة ، وقد تناولهما العلماء بتفصيل وإسهاب ، لما لهما من أثر في البيان والإبانة ، وهما في يقين البلغاء مسألةٌ يقصد إليها المتكلم حين حاجته لذلك ، فكلاهما مطلوب في موضعه ، وله آنذاك بلاغته . يقول أبو هلال العسكري:" الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام ، وكل نوع منه ، ولكل واحد منهما موضع ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"[1] والإيجاز والإطناب يعملان معا للإبانة عن المعنى المطلوب ، وفي الدعاء النبوي فيض من كليهما ، فيض يشير إلى بلاغة الرسول الكريم .

الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط [1]. والإيجاز قسمان إيجاز حذف وإيجاز قصر.أما إيجاز الحذف فيكون بحذف جملة أوكلمة أوحتى حرف[2]،ومثله قوله تعالى: ﴿**ناقةُ اللهِ وسُقياها**﴾ الشمس آية: 13.والمحذوف الفعل ذروا ، والأصل ذروا ناقة الله وسقياها، فحذف فعل التّحذير (ذروا) ،وحذف فعل الإغراء (الزموا) وهذا لأنَّ الموقف لا يتسع للتفصيل والزيادة وقد يؤدي إلى تفويت أمر ذي أهمية؛ فإقدامهم على عقر الناقة وإنزال الله العقاب بهم هو الغاية والهدف وفيها العبرة للمتلقي﴿ **فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا . وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا** ﴾الشمس آية: 15/14.

---

(1) كتاب الصناعتين ص190 .

(2) القزويني،الخطيب(1993) الإيضاح ،ط3 ،شرح محمد عبد المنعم خفاجي ج3 ، المكتبة الأزهرية للتراث،مصر.ص185

ولايجوز الحذف إلا بشروط ، فلا يؤدي إلى خلل في المعنى وجهل بالمراد، ولا يكون المحذوف مؤكدا لسابقه، فالحذف ضد التوكيد.أما **إيجاز القصر** فهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ، فالعبارات قليلة ولكن معانيها غزيرة مكثفة[1]،ومثلها قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ** ﴾البقرة آية 179.والأصل في الإيجاز إتقان اللغة وحسن انتقاء العبارات لتسهم في تقديم المعنى المراد.

ومن الأمثلة على إيجاز القصر في الدعاء النبوي،قوله عليه السلام:

-- « **اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ** » [1].فمضمون الدعوة ليس سوى الفضل ، والفضل الإحسان ،والفضل مازاد على الحاجة والمطلوب ، إذن فكلمة (الفضل) تدل على كثير عام ، يشمل كل الحسنات الدنيوية والأخروية، فاختزلت كل هذه المعاني في كلمة واحدة. ومثله أيضا

-- « **اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ** » [2]. النصر التأييد والإعانة وهو يصح في كل الأحوال ،في السلم والحرب ،كما يصح في الأعمال والمصائر.

- « **اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» [3] الفقه في اللغة: العلم بالشيء,وهو الفطنة والغلبة في العلم، فاختزلت الكلمة الواحدة معاني كثيرة ،وهذا يدل على البلاغة وحسن التقدير.ومن بليغ إيجازه عليه السلام قوله :

- « **اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً** » [4]. وقد سبق الحديث عنها وعن شمول معنى الحسنة.ومنه أيضا قوله عليه السلام :

- «**اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**»[5].

---

(1) الإيضاح ،ج3 ، ص171 .
(2) صحيح مسلم / ج6 ص299
(3) صحيح مسلم / ج 8 ص 225 .
(4) صحيح مسلم / ج 9 ص15
(5) صحيح مسلم / ج 6ص 185

إذ عبَّر عليه السلام عن التزامه الدَّين الإسلامي ، وطاعته الله عز وجـل ، ونـشره تعـاليم الإسلام بين الأمم بكلمة ذات دلالة (الإحياء) . ودللَّ بالموت على ضـياع الـدين ، وأذى الأنبياء ، ومعصية الخالق ، وفسوق الأمم ، ونكثها عهودها مع الله ، فجعل ذلك كله موتـا ، وجعل إقالته لمسيرة الأمم مع الخالق بالإحياء ، إذ إن بعث دين الله على الأرض من جديـد، وانتشاره تماما كما تدب الحياة في الجسد شيئا فشيئا .

وانظر قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» [1].

إن هذا الدعاء شامل واسع ، فيكون المرء (هادِيا) لغيره قدوة لهم في طريـق الحـق و(مهديّا) تجتمع فيه كل أسباب الهداية من الله ، من تقوى وصلاح وخشية وطاعة وعبادة .

ومن إيجاز القصر أيضا ،قوله عليه السلام :

- "**اللهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ، وَالْمَغْرَمِ**»"[2]

فقد استعاذ الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الدعاء من أصول الشر ومباديه، وفروعـه ومصادره ،وجعل كل اثنين مقترنين،وما كانت الألفاظ الكثيرة تستطيع أن تجمع هذه الـشرور على مثل هذا النسق البلاغي.

---

(1) صحيح مسلم ج 6 ص 185

(2) صحيح مسلم ج9ص26

-- «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»[1]. والمحذوف فعل تقديره (ارحم) أمتي .

ومنه أيضا أداة النداء مع كلمة (رب) ، (ربنا) ومثله قوله عليه السلام :

-- « **اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ** » [2].

-- « **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ** » [3].

ولعل هذا الحذف المصاحب للمنادى (ربِّ) حاصل للتنزيه والتعظيم ، فهذا الحذف يماثل الحذف الحاصل (مع رب) في آيات الذكر الحكيم ، وقد حاول كثير من العلماء تفسير هـذا الحذف ، فرأى بعضهم أن في أداة النداء طرفا من الأمر ، لذلك عندما وجه النداء لله حـذفت الأداة تعظيما له من أن يؤمر , وقد رأى بعضهم بأن الأمر حاصل بأداة أو حذفها ، فلا معنى للحذف ، فدلالة النداء على الطلب ثابتة ، وأقرب ما يكون إلى المنطق أن الله قريب من نفس عبده ، مستقر في وعيه وضميره ، فناداه عليه الصلاة والسلام بإهمال أداة النداء (يا) خاصة أن هذه الأداة تستخدم لنداء البعيد. ومن إيجاز الحذف أيضا قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**» [4]. والمحذوف تقديره فارحمهم واغفر لهم . ومثله أيضا قولـه عليه الصلاة والسلام : -- « **اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** » [5]. والمحذوف تقديره الفعل (أختار) الرفيق الأعلى .

---

(1) صحيح مسلم ج 2 ، ص 67

(2) صحيح مسلم ج9 ص30 .

(3)صحيح مسلم ج 9 ، ص 31 .

(4) صحيح مسلم ج 8 ص 153 .

(5) صحيح مسلم ج 8 ص 179

ومثله أيضا قوله عليه الصلاة والسلام : « **اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** » [1]. فحذف آتنا على تقدير العطف على الفعل الأول .

ومثله أيضا قول المصطفى : « **اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ** » [2] والمحذوف تقديره (قبيلة) ومن أمثلة الحذف أيضا حذف المفعول به في قوله عليه السلام :

-- « **سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** » [3]. حيث يقدر المحذوف بكلمة (الذنب أو الخطايا) فقوله اغفر لها يعني ذنبها . وهذا الحذف جاء لقوة دلالة الحس على تقديره ، فهو من قوة تعلقه بالفعل أصبح كالمذكور معه ، يدل عليه حتى لو لم يذكر في الكلام .ومثلها أيضا قوله عليه السلام :

- « **اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُم لا يَعْلَمُون** » [4]

والتقدير اغفر لقومي كفرهم وصدهم عن سبيلك.

الدعاء النبوي تغلب عليه سمة الإيجاز ، وقصر العبارات ،فقد أوتي جوامع الكلم –عليه الصلاة والسلام–كما أن المقام ليس مقام التكلف والزيادة ولا الحديث حديث النفس للنفس، أو النفس لغيرها ، إنما هو خطاب المرء ربه وخالقه، فوجب أن تكون العبارات صادقة واضحة ، قاصدة إلى الهدف ، كاشفة عن نفس صاحبها ومكنونها ،تشف بصدق عما يعتريه من مشاعر صادقة.

---

(1) صحيح مسلم ج 9 ص15

(2) صحيح مسلم ج3 ص156

(3) صحيح مسلم ج 9ص31

(4) صحيح مسلم ج8 ص328

نخلص إلى القول إن الإيجاز ظاهرة جلية في الدعاء الشريف بعامة ،وكان الإيجـــاز بنوعيـــه القصر والحذف ظاهرة عامة في الأدعية الشريفة ،وفق المواطن التي تستدعي أيا منهما. وهو إيجاز يحفظ للجملة متانتها ، وبلاغتها ، ويعمد إلى إثارة الحس لإدراك المعنى .

الإطناب:

ومثلما كان الإيجاز في الدعاء النبوي كان الإطنـــاب ، والإطنـــاب أداء المقـــصود مـــن الكلام(المعنى) بألفاظ غير قليلة ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غيـــر الجمل [1] .والمقصود زيادة اللفظ على المعنى لغاية. وللإطناب صور كثيرة [2] وسنحاول أن نتلمس بعضا من هذه الصور في الدعاء النبوي .أول هذه الصور وأبينهـــا إطنـــاب **التكـــرار** ويكون بتكرار لفظ أو جملة ، ويمثل هذا قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»[3].

-- «**اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»[4].

– «**اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، اللهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلي** »[5].

وإطناب التكرار غايته المبالغة في الضراعة والاستعطاف .وثاني صور الإطناب **الإيـــضاح بعد الإبهام** ، ومثله ورد في قوله عليه السلام : – « **اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَـــكَ شَـــيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَـــكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**» [6] . فالأول تساوي تماما معنى أن ليس قبل الله شيء، وكذلك الآخر تعني أن ليس بعد الله شيء

---

(1) مفتاح العلوم ص 248 .

(2)منها الإيضاح بعد الإبهام وذكر الخاص بعد العام وذكر العام بعد الخاص وإطناب التكرار ،والتتميم والاحتراس والتذييل،أنظر كتاب في البلاغة العربية علم المعاني البيان البديع ،عبد العزيز عتيق،دار النهضة العربية بيروت 181-191

(3) صحيح مسلم ج 2 ، ص 67 .

(4) صحيح مسلم ج 6 ، ص 330 .

(5) صحيح مسلم ج 8 ، ص 251 . (6) صحيح مسلم ج 9 ، ص 33 .

فالقول أنت الأول ، لا يعلم فيم ، وتبعتها جملة ليس قبلك شيء لتدل على الأســـبقية فـــي الزمن والوجود والخلق ، و كذلك تقاس أنت الآخر . ثالث صورة للإطناب هـــي **الاحتـــراس**

،وهو أن يؤتى بكلمة تزيد على المعنى احتراسا أن يُشكل المعنى المراد، كقول أحدنا لرئيسه: وَفِّني – غيَر مَأْمُورٍ – ما وعدتني.وهذا يمثله قوله عليه السلام :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيه، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [1] .

فرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام احتراسا وتأدبا مع الله يطلبه أن يجعل دعاءه على أي من المسلمين ، رحمة له، وبفطنة البليغ يسبقها بتقرير لحقيقة كونه بشراً قد يغضب وقد يضعف . ومن الإطناب أيضا ما صورته **الإيغال** وهو ضم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها [2] ,ويراد به الإغراق والإبعاد في المعنى.

ومنه قوله عليه السلام: « **اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ**»[3] . ومن صور الإطناب في الدعاء النبوي **التذييل** ، وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد [4] .

-« **اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ** »[5].فقد ذيَّل الجملة بالمغفرة والرحمة، وكان سبق أن ذكرها .

---

(1) صحيح مسلم ج8 ، ص 325 .
(2) في البلاغة العربية ص185 .
(3) صحيح ج 9 ، ص 34 .
(4) في البلاغة العربية ص190 .
(5) صحيح مسلم ج 9 ص 24 .

فصلة في البيان والبديع

في أحاديث الدعاء النبوي

إن المتتبِّع لأحاديث الدعاء النبوي تلفته قلة ورود الصور البيانيّة فيه ، ولعل مرد هذا أن الدُّعاء يصدر من قلب صادق ، مؤمن لا يميل للتنميق والزخرفة والتصوير ، كما أن الـــدعاء النبوي تعليمي ، قصد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم تعليم الصحابة والمسلمين حوله ومن بعده ،كيف يدعون ربهم ، وأي الأدعية أصلح للأوقات والأحوال والفضائل . والداعي حـــين يدعو ينصرف ذهنه كليا إلى ذات الدعاء ومضمونه ، لا إلى جمله وتراكيبه ، وما يجيء من التصوير فيه أو البديع ، فهو عفو الخاطر لا كدَّ فيه ولا إعمال .ورغم أن الدراسة عنيت بتتبع ظلال علم المعاني على الدعاء الشريف ،ولم يكن همها دراسة البيان والبديع فيه ،إلا إنها لـــم تر ضيرا في الإشارة إليهما لتمام الصورة والفائدة.

أولا : **الصور البيانية**

الشِّبه والشَّبه والشَّبيه : المثل والجمع أشباه ، وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله [1] . واصطلاحا هو مشاركة أمر لأمر في معنى [2] . ولم يرد التشبيه كثيرا في الدعاء النبوي، عدا بضع صور منها قوله عليه السلام :

--« **اللّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**» [3] .

فصورة التنقية التي يطلبها من الخطايا ، كتنقية الثوب الأبيض من الشوائب والعيوب ، وهذا

---

(1) لسان العرب ، مادة شبه ، ص23 .

(2)القزويني(1932)،التلخيص في علوم البلاغة ، شرح عبد الرحمن البرتوفي ، دار الكتـــاب العربـــي لبنان ص 238 ..

(3) صحيح مسلم ج 3 ، ص 83 .

ممعن في التنقية ، إذ إنّ اللون الأبيض ناصعٌ لا تكاد ذرة صغيرة تظهر فتعيبه ، فهو لا يقبل الدّنس والتّلويث.

و حال الاستعارة ليس بأميز من التشبيه ، فهي قليلة جدا في الدعاء الشريف، وهذا يفسره معنى الاستعارة؛ فالاستعارة بلاغيا تدلّ على أنّ اللّفظ أصل في الوضع اللغويّ ، معروف تدل الشّواهد على أنه اختصّ به حين وُضع ، ثم يُستعمل في غيرِ ذلك الأصلِ ، وهي ضربٌ من المجاز اللغويّ ، وهي إما تصريحية أو مكنية أوتمثيلية . ومن أمثلة الاستعارة في الدعاء النبوي قوله عليه السّلام :

-- «**اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**»[1] .

فشبه نشر الإسلام وإعادة الدعوة لعبادة الله من جديد بالإحياء ، وصور التوقف عن عبادة الله لقرون خلت قبله بالإماتة ، ذكر المشبّه به وحذف المشبّه على سبيل الاستعارة التصريحية. ومنها قوله عليه السلام أيضا :

-«**اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ** »[2] .

فشبه بعد الطريق بفراش طويل يمتد ، ثم يطوى ، ذكر المشبه وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية . ومنه أيضا قوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

- « **اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»[3] .

---

(1) صحيح مسلم ج 6 ، ص 185 .
(2) صحيح مسلم ج 5 ، ص 93 .
(3) صحيح مسلم ج 6 ، ص 275 .

اذ صور الفئة القليلة المستضعفة من المسلمين بالعصابة في القوم . كما صور الخطايا بإنسان يستعيذ الرسول منه ، ويطلب إلى خالقه أن يبعد بينه وبينه .

أما **الكناية** فلفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي [1] . وتكــون إذا كنيَّت وأخفيت ولم تصرح ، ومن الأمثلة عليها في الدعاء النبوي ، قول النبي صلى اله عليه وسلم :

- « **اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ** » [2] . وهذه كناية عن الملازمة بالعناية والحفظ .

وقوله عليه السلام :

- « **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**» [3] .

كناية عن الرضا . وفي قوله : ((ممن لا كافيَ له ولا مؤويَ)) [4]. كناية عن الكثرة .

هذه بعض من ملامح البيان في الدعاء النبوي وهي نادرة ، لا تكاد تــذكر ، أمــا الــصّور البديعية فليس حظها بأفضل من البيانية في دعاء محمد عليه السلام ، وكنا فسرنا من قبل علة ذلك ، فالحرص على الإلحاح في الدعاء والقصد المباشر إلى المعنى المراد يبعد الداعي عــن الصنعة والتكلف .

---

(1) الإيضاح / ج5 ص158 .

(2) صحيح مسلم ج 5ص 93 .

(3) صحيح مسلم ج 9 ص 31 .

(4) صحيح مسلم ج 9ص 31 .

البديع في الدعاء الشريف

أكثر ما ورد من فنون البديع في الدعاء النبوي الطباق ، والطباق الجمع بين المتضادين ، أو المعنيين المتقابلين في جملة واحدة ، ولقد ورد الطباق في غير موضع في الدعاء النبوي ، من مثل (السموات والأرض) في قوله عليه السلام :

-- « **اللهُمَّ ربَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ** » [1].

(والمشرق والمغرب) في دعاء :

-- « **اللهمَّ وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** » [2].

والكثير الكثير من مثل (يمين ، شمال) ،(خلف ، أمام) ،(أحيا ، أماتوه) (هزلي ، جدي) (خطئي ، عمدي) ، (الأول والآخر) ، (الظاهر والباطن) ويلاحظ تنوع المطابقة فمنها ما بين اسمين ، ومنها بين فعلين .

هذا الاستقصاء والجمع بين الضدين إنما هو لخدمة المعنى . وفي الدعاء النبوي محسن لفظي آخر هو رد العجز على الصدر ، ومنه قوله عليه السلام :

- « **اللهمَّ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدَك ، وارَحَمْنِي إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيم** » [3]

---

(1) صحيح مسلم / ج 2 ، ص363 .

(2) صحيح مسلم / ج3 ، ص 83 .

(3) صحيح مسلم / ج 9 ، ص 24 .

النتائج والتوصيات

بعد أن طوَّفنا في الحديث النبوي زمنا ، وعشنا مع دعاء خير الأنام ، الحبيب – صلى الله عليه وسلم – وطرقناه درسا وتحليلا ،نستطيع أن نوجز أهم نتائج هذه الدراسة :

1– بينت الدراسة أن ّمقام الدعاء من أصدق المقامات الخطابية وأبعدها عن الصنعة والتكلف.

2– كشفت الدراسة عن غزارة مادة (دعا) في العربية وثراء دلالاتها ، وتشابه دلالاتها مع ما ورد القرآن والكلام العربي الفصيح .

3–بينت الدراسة أنَّ إحجام الكثير من علماء اللغة عن الاستشهاد بالحديث الشريف كان بـــداعٍ من الحرص قبل تدوين الحديث . أما بعد تدوينه فما صحت روايته وضمه الصحيحان ، فهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

4– كثرة الدعاء بصيغة الألوهية في الدعاء النبوي في حين أن الدعاء أكثره بالربوبية في آي الذكر الحكيم كما أشارت لذلك دراسات عديدة.

5– أثبتت الدراسة تنوع الأنماط اللغوية في جملة الدعاء النبوي بعد المنادى (اللهمَّ) .وخروج الدعاء النبوي من نطاق الجمل الإنشائية إلى الخبرية .وتنوع ألفاظ الدعاء في الدعاء النبـــوي من مثل: (اللهمّ ، ربِّ ، ربَّنا).واقتران أسلوب الدعاء بالتوكيد اللفظـــي .فـــي بعـــض مـــن الأدعية.وشيوع التقديم والتأخير ، والحذف في الدعاء النبوي ، وكل ذلك خدمة للمعاني.

6– دلَّلت الرسالة على اتِّسام الدُّعاء النبويِّ بالقصر والإيجاز ، وتكثيف المعنى . وانقسام جمل الدعاء النبوي في فواصل متساوية .وعمق المعاني الواردة في الدعاء النبوي وشموليتها .كما أكدت وضوح الظواهر البلاغية المتنوعة في الدعاء النبوي من تقـــديم وتـــأخير ، وتنكيـــر وتعريف وإفراد وجمع ، وارتباط هذه الظواهر بالمعنى المتضمن في الحديث .

7- وضحت الدراسة مدى شيوع نمط الجملة الخبرية المؤكدة في دعائه عليه السلام .

8- أشارت الدراسة إلى توظيف المشتقات في الدعاء النبوي توظيفا بلاغيا صرفا ، بحيث تدل على المعنى الذي يرمي إليه عليه السلام . وكذلك الحال في الأفعال .

9- بينت الدراسة استخدام الرسول -عليه السلام- القصر، منوعا في أدواته.

10- أظهرت الدراسة العلاقات بين جمل الدعاء النبوي وثيقة بحيث تبدو جسدا واحـــدا ، لا يمكن أن تقدم جملة على أخرى أو تؤخرها.

11-أكدت الدراسة ورود الصور البيانية والمحسنات البديعية في الدعاء الشريف ، بيد أنهـــا قليلة ، لأن مقام الدعاء لا يحتمل التصوير والتخييل ، والصنعة والتكلف .

وبعد ... كانت هذه أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة ، وتوصي الدراسة بضرورة البحث في الحديث النبوي بعامة وتحليل جمله ومضامينه ،والتركيز علـــى علاقـــة اللفـــظ بـــالمعنى ،والاستفاضة في فهم المعاني النبوية من خلال البحث في ألفاظها، بهدف الكشف عن وجـــوه الإعجاز فيه سواء أكانت بلاغية أم علمية أم اجتماعية وتسأل الله التوفيق والتأييد، وترجـــوه العفو عن الزلل والخطأ ، وإنما هي محاولة صادقة خالصة لوجه الله تعالى فـــي استـــشراف البلاغة المحمدية رزقنا الله شفاعته يوم لاينفع نفسا إلا ما قدمت، والحمدلله أولا وآخرا.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الأثير ،المبارك بن محمد بن الأثير ،(1979) ،النهاية في غريب الأثر ، ط2 ،دار الفكر،بيروت .
2. الأصفهاني ، أبو القاسم الحسن بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت .
3. أمين ، بكري شيخ أمين ،(1981) ، أدب الحديث النبوي ،ط5، دار الشروق ، بيروت
4. امرؤ القيس، (**2004**) ديوان امرئ القيس ضبط مصطفى عبد الشافي، ط 5، دار الكتب العلمية بيروت.
5. الأنبا ري ، أمين الأنبا ري ،(19611)، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ط4 ،المكتبة التجارية الكبرى .
6. الأنصاري ،ابن هشام الأنصاري ، (1998)، شرح شذور الذهب ، شرح محمد محيي الدين عبد المجيد ، المكتبة العصرية ، بيروت.
7. البغدادي ،الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ،(1981)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تحقيق محمد رأفت سعيد ،ط1 ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
8. البغدادي الحافظ أبو بكر أحمد بن علي ، الكفاية في علم الرواية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
9. البيهقي ، أحمد بن الحسين ، (1989) ، الدعوات الكبير ، ط1 ، الكويت .
10. التوحيدي ، أبو حيان ، (1964) ، البصائر والذخائر ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس .
11. ثابت ، حسان بن ثابت ، (1968) ، ديوان حسان بن ثابت ، سرح عبد مهنا ، ط1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت .
12. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون.
13. الجرجاني ، عبد القاهر ، (1992) دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط3 ، مطبعة المدني ، القاهرة .
14. الجندي ، درويش الجندي ، (1962) علم المعاني ،ط2 ، مكتبة النهضة ،مصر .
15. ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، (1956) ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، مصر .

16.الجواهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عطار ، ط6 ،دار العلم للملايين .
17.الحادرة، ديوان الحادرة، تحقيق ناصر الدين الأسد ،مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية،مج15،ج 2
18. حسن ، عباس حسن ، النحو الوافي ، ط3 ، دار المعارف ،مصر .
19.طبانة ، بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة .
20. الخطابي ، أبو سلمان الخطابي ، (1982) ، غريب الحديث ، منشورات جامعة أم القرى .
21. الرافعي ، مصطفى صادف الرافعي ، (2003) ،إيجاز القران والبلاغة النبوية ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
22.الرضي ، الشريف الرضي ، (1937) ، المجازات النبوية ، تحقيق وتعليق محمود مصطفى واليأس الحلبي ، مصر .
23. الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (1959) ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .
24.الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (1984) ، الجمل في النحو تحقيق د.علي توفيق ، ط1، مؤسسة الرسالة ،بيروت .
25.الزركشي ،بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط2 ، دار المعرفة ، بيروت .
26.الزمخشري ،أبو القاسم محمود بن عمرو ، (2001) ، أساس البلاغة ، ط1 ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
27. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو ، (1979) ،أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
28. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو ، الفائق في غريب الحديث ، تحقيق محمود أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، ط2، دار المعرفة ، بيروت .
29.الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو ، (2006) ،المفصل في علم العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت .
30. زموط ، عبد الستار زموط ، (1992) ، في سمات التركيب ، ط1، مطبعة الحسن الإسلامية ، القاهرة .
31.زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير(1988)شرح علي حسن فاعور،ط1،دارالكتب العلمية بيروت

32. السكاكي ، أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق محمد قابيل ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .
33. السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي ، نتائج الفكر ، تحقيق محمد ألبنا ، دار الرياض .
34. سيبويه ، أبو بشير عمر بن عثمان ، (1984) ، الكتاب تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
35. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1979) ، تدريب الرواية في شرح تقريب النووي ، صنفه عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط3 ، دار إحياء السنة ، بيروت .
36.السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1987) ، عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد ، تحقيق أ حمد عبد الفاتح ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت
37. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (1965) ، همع الهوامع، دار البحوث العلمية ، الكويت .
38. الشاعر ، حسين موسى الشاعر ، (1980) ، النحاة والحديث النبوي ،ط1، وزارة الثقافة والشباب ، عمان .
39. الصالح ، صبحي الصالح، (1978)، علوم الحديث ومصطلحاته ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت .
40. صالح ، محمد أديب صالح ، (1988) ، لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية ، المكتب الإسلامي للنشر ، دمشق .
41. الطاهر ، حامد الطاهر ، (2010) ، جمع الأحاديث القدسية ، ط2 ، دار الفجر للتراث ، القاهرة .
42. الطبراني ، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (2001) ، الدعاء تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
43. الطبراني ، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، (1979) المعجم الكبير ، ط1 ، وزارة الأوقاف القطرية ، إ حياء التراث الإسلامي .
44. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (1988) ، تفسير الطبري جامع البيان عند تأويل القران ، دار الفكر .
45. طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد (2002) شرح مهدي محمد ناصر الدين، ط3،دار الكتب العلمية بيروت.

46. عباس ، فضل محمد عباس وسناء ، (1991) ، إعجاز القران الكريم ، دار الرقان ، عمان 47.العتاهية ، أبو العتاهية ، (1980) ، ديوان أبي العتاهية دار صادر ، بيروت .
45. عتر ، نور الدين عتر ، (1980) ، منهج النقد في علوم الحديث ، ط3 ، دار الفكر .
46. عتيق ، عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية علم المعاني والبديع ، دار النهضة العربية بيروت .
47.عمرو بن معدي كرب الزبيدي، شعره (1985) تحقيق مطاع الطرابيشي، ط2،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق.
48. العسكري ، أبو هلال العسكري ، ديوان المعاني ، عن نسخة الشيخ محمد عبدو و الشيخ محمد الشنقيطي ، عالم الكتب .
49. العسكري ، أبو هلال العسكري ، (1986) ، الصناعتين ، تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم الكتبة العصرية ، بيروت .
50. العسقلاني ، أحمد بن محمد بن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت .
51. العكبري ، أبو البقاء العكبري ، (1977) ، إعراب الحديث النبوي ، تحقيق عبد الإله نبهان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .
52.علي ، محمد بركات أبو علي ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، دار البشير للنشر ، عمان .
53. عياض ،القاضي عياض ، كتاب الشفاء ، مصطفى البابي الحلبي .
54. العيني ، بدر الدين العيني ، (1972) ، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ، مكتبة البابا الحلبية ، مصر .
55. فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، (2008) ، مقاييس اللغة ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط2 ، ج1 ، مادة دعا ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
56. الفارس ، الأمير علاء الفارس ، الإحسان في تقريب ابن حبان ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، دار المعرف ،مصر .
57. الفضل ، محمد أبو الفضل ، (1979)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط2، دار الفكر ، بيروت .
58. قتيبة ، ابن قتيبة ، (1966) ، تأويل مختلف الحديث ، صححه محمد زهري البخار ، مكتبة الكليات الأزهرية .
59. قتيبة ، ابن قتيبة ، (1979) ، غريب الحديث ، تحقيق رضا السويس ، الدار التونسية للنشر .

60. القشيري ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، الإيمان ، المنصورة .
61. القز ويني ، الخطيب القز ويني ، (1993) الإيضاح ، سرح عبد المنعم خفاجي ، ط3 ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر .
62. القز ويني ، (1932) ، التلخيص في علوم البلاغة ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
63. القيلاني ، مصطفى القيلاني ، (2010) ، جامع الدروس العربية ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
64. قيم ، ابن القيم ، الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة .
65. الكيلاني ، إيمان محمد أمين الكيلاني ، (2008) ، دور المعنوي في المعنى توجيه القاعدة النحوية من خلال كتب معاني القران ، ط1 ، دار وائل للنشر ، عمان .
66. المنجد ، صلاح المنجد ، (1982) معجم ما ألف عن رسول الله عليه وسلم ، ط1، بيروت
67. منظور ، ابن منظور ، لسان العرب ، تصحيح أمين عبد الوهاب ومحمد صادق ألعبيدي ، ط3 ، ج4، مادة دعا ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .
68.أبونواس الحسن بن هانئ ، (1988) ، ديوان أبي نواس ، شرح عمر الطباع ، دار الأرقام ، بيروت .
69. النووي ، أبو زكريا بحيى بن شرف النووي ، (2002) ، رياض الصالحين ، تحقيق محمد وعبد السلام عوض ، دار ابن الهيثم ، القاهرة .
70. النيروزي ، ابن الصلاح النيروزي ، تحقيق عائشة عبد الرحمن ، الهيئة المصرية العامة للكتب .
71. النيسابوري ، الحاكم النيسابوري ، (1987) ، معرفة علوم الحديث ، ط4 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
72. الهاشمي ، أحمد الهاشمي ، (2006)، جواهر البلاغة ، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة .
73.هشام ، ابن هشام ، (1979) ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ط5 ، دار الجيل ، بيروت .

ثبت الرسائل الجامعية

1-العلي ،نعمان(1987)غريب الحديث النبوي،لغته ،تاريخه ،وتصنيفه.رسالة ماجستير في اليرموك.

2-ياسوف،أحمد(1994)الصورة الفنية في الحديث الشريف.حلب.

3- النعيم،علي عبدالله(1994)الأحاديث القدسية دراسة في البنية اللغويةوالنظم الأسلوبي.الجامعة الأردنية.

4- الدرويش،ياسر(1999)الحديث النبوي في المعجم العربي.جامعة حلب.

5-زيادة،محمد باجس(2000)المعرب في الحديث النبوي.جامعة القدس.

6-البياري، مراد(2002)أسلوب التوكيد في الحديث الشريف.الجامعة الأردنية.

7- الفقيه، شفاء(2004)منهج التفكير في الحديث النبوي.الجامعة الأردنية.

8- المتيوتي،خالد علي(2005)المشكل النحوي في لغة الحديث الشريف.جامعة الموصل.

9- محمد،عريب(2007)لغة الحركة،أصولها وشواهدهافي الحديث الشريف.الجامعة الأردنية.